

مجلد مجمع المجلد الثاني

السنه ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢١ م

تشرقي دمشق مرة في شهر

آذار و نيسان سنة ١٩٤١ م

ربيع الأول و ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية و لبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً { وفي جميع الأقطار ٤٠٠ = =

مطبعة الترقى بدمشق



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ابن عَنِين

شاعر القرن السابع

هو محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عَنِين الأنصاري ، وعَنِين بضم العين المهملة وفتح النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، كنيته ابو المحاسن ولقبه شرف الدين . أصله من الكوفة وولد في دمشق ومات فيها (٥٤٩ - ٦٣٠ هـ) تأدب ابن عَنِين بأدب عصره واخذ عن مشايخ بلده ما تيسر له أخذه . اشغل في دمشق بالفقه على القطب النيسابوري والكمال الشهرزوري ، وقرأ الأدب على أبي الشتاء محمود بن رسلان وسمع ببغداد من منوچهر بن تركانشاه راوي مقامات الحريري ، وعني كثيراً باللغة حتى عدّ من علمائها في عصره ، وكان يستحضر كتاب الجهرة لابن دريد وقد اختصره ، وكتب في النثر تاريخ العريزي ، وقد فقد كلا التأليفين . وجاء من ابن عَنِين شاعر مطبوع يحول في أكثر أغراض الشعر وجوّد في جولاته وموضوعاته فعدّ من اعظم شعراء زمانه ، وشعره في الوصف والشعر العاطفي آية ، واشتهر بين الناس بهجوياته . واذ لم يكن له غرض في جمع شعره لم تسمُ همته الى تدوينه ، فهو يوجد مقاطيع في ابدي الناس . وقد جمع له بعض اهل دمشق قديماً ديواناً صغيراً لا يبلغ عشر ما له من النظم الرائع ، وقيل ان فيه اشياء ليست له .

طار صيت ابن عَنِين بهجوياته ، وما كان ينبجو من هجوه كبير ولا صغير . وشعره في الهجو خال من الاقذاع في الجملة ، وربما ضحك المهجو منه وساعه بما قال واقتري . وله في باب الاهاجي قصيدة يداعب فيها جماعة من الدمشقيين ، وهي القصيدة المعروفة بمقراض الأعراض افنتحها بقوله :

أضالع تنطوي على كرب ومقلة مستهلة الغرب
شوقاً الى ساكني دمشق فلا عدت رباهـا مواطر السحب
منازل ما دعا تذكراها الا ولبي على النوى لبي
وقد ذكر فيها جماعة بأبشع الأوصاف وختمها بقوله :

وحين أبصرت دولة الأعداء دب أربت على علا الشهب
فقلت للمفلسين ويحكم تحادبوا فهي دولة الخدب

هــما ابن عنين العلية من قومه ومنهم المؤيد بن القلانسي والجمال بن المهدي الكاتب والقاضي ابن عصرون والقاضي الفاضل وزير صلاح الدين وكاتبه .
وكان وقوعه على ما يظهر في القاضي الفاضل سبباً اعظم في غضب صلاح الدين عليه ، فأمر بتسييره من دمشق بسبب وقوعه في الناس ونفاه الى اليمن فمدح صاحبها طفتكين من اخوة صلاح الدين . طاف شرف الدين البلاد من الشام والعراق والجزيرة واذريجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر ، ثم دخل الهند ورجع من طريق الحجاز الى الديار المصرية ، وقد مات صلاح الدين وتملكها اخوه الملك العادل ابو بكر بن ابوب ، فسار متوجهاً الى دمشق وكتب اليه قصيدته الرائية يستأذنه في دخول الفيحاء وبعدد ما قاساه في الغربة ، قال في الوفيات : وقد احسن فيها كل الاحسان ، واستعطفه ابلغ استعطاف ، وأولها :

ماذا على طيف الأحبة لو مرى وعليهم لو سامحوني في الكرى

وصف في أوائلها دمشق وبساتينها وانهارها ومواضع متزهاتها ومما قال :

فسقى دمشق وواديها والحي متواصل الارهام منفصل العرى

حتى نرى وجه الرياض بعارض أحوى وقود الدوح ابيض ازهر

تلك المنازل لا ملاعب عاج ورمال كاظمة ولا وادي القرى

أرض اذا مرت بها ريج الصبا حملت على الأغصان مسكاً أذفرا

ثم عاد مشيراً الى النفي منها :

فارقتها لا عن رضا ، وهجرتها لا عن قلى ، ورحلت لا متخيراً

أسعى لرزق في البلاد مشئت ومن العجائب ان يكون مقفراً

وأصون وجه مدائحي منقنماً وأكف ذبل مطامعي مستترا

ومنها يشكو الغربة وما قاساه فيها :

أشكو اليك نوى قتمادى عمرها حتى حسبت اليوم منها أشهراً

لا عيشني تصفو ، ولا رعم الهوى يعفو ، ولا جفني يصالحه الكرى

أنحى عن الأحوى المربع محولاً وأبيت عن ورد النسيم منفراً

ومن العجائب أن يقبل بظلمكم كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

قال ابن خلكان وهذه القصيدة من أحسن الشعر ، وعندى أنها هي خير من

قصيدة ابي بكر بن عمار الأندلسي التي أولها : « أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى » ،

ولما نفي من دمشق قال :

فعلام أبعدتم أخا ثقة لم يحترم جرماً ولا مرفاً

أنفوا المؤذن من دياركم ان كان بنفى كل من صدفا

ولما عاد اليها وتقدم بها عند المعظم قال :

هجوت الأكابر في جلق ورعت الوضيع بهجو الرفيع

وأخرجت منها ولكنني رجعت على رغم أنف الجميع

ووصل به الحال ان هجا بعض الملوك الأيوبيين ، فانه لما ورد من اليمن

الى مصر وطلبوا منه موجب ما ورد معه ، قال بهجو الملك العزيز صاحبها :

ما كل من يتسمى بالعزيز لها أهل ولا كل يرق محبه غدره

بين العزيزين بوئ في قعالمها هذالك يعطي وهذا يأخذ الصدقه

وقال في العادل سيف الدين بن ايوب :

ابن سلطاننا الذي نرتجيه واسع المال ضيق الإنفاق
هو سيف كما يقال ولكن قاطع للرسوم والأرزاق

وهذا هجو خفيف على القلب غير ثقیل على السمع ، لا بداءة فيه ويحمل نكتة لطيفة . وهنا يعرض على الخاطر لماذا شق على الشاعر ان يطلع عمال المكوس على مافي متاعه ، وقد آب من سفرته هذه أبحر الحقائق ، وجمع من جوائز صاحب اليمن وجوائز غيره اموالاً اتجر بها فقدروا ما تمولّه بثلاثين الف دينار ، ومن كان يملك هذا وهو في عقل ابن عنين ومعرفته ، لا يشق عليه ان يدفع حق الدولة ، هذا ان لم يكن ممن اعتادوا الأخذ ولا يعرفون العطاء ، ولا يروون ابدأ غير الزيادة في وفرهم .

قال من ترجوا لابن عنين : انه كاتب من اظرف الناس واخفهم روحاً واحسنهم مجوناً ، وكان وافر الحرمة عند الملوك ، ولما عاد الى دمشق تولي الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر ، وانفصل منها لما ملكها الملك الاشرف ، قال الصفدي في الوافي : انه لما ولي كان محمود الولاية ، كثير النصفة ، مكتوف اليد عن اموال الناس ، مع عظم الهيبة . فمن يخطبه الملوك لتولي أمور الدولة ، فيه ولا شك شيء من أخلاق العظماء ، وليس هو بالشاعر الذي يجوز لنفسه ان يمد كل حين يده لمن بفضل عليه بشيء ، وأخلاق الشعراء غير اخلاق الأمراء .

لا جرم ان ابن عنين آلم بهجوه بعض المشهورين ، وما استطاعوا ان يصموه الا بما جرت العادة ان يصم به الخصم خصمه ، واهم ما وصموه به تكفيره وتبديعه وتفسيقه ، فقالوا انه كان يخلّ بالصلاة ، ويصل ابنة العنقود ، واشتد بعضهم وادغل فرماه بالزندقة ، وكل اولئك تهات سهلة النطق على الناقمين والموتورين ، ولو كان كما زعموا زنديقاً ما عمر مسجداً بأرض المزة مزة كلب واوصى ابن بدفن فيه ،

ولو كان منعلاً من العقيدة ما اختاره ملكان عظيمان للوزارة والملك من أخوف الناس من الرأي العام واعدائه وابتائهم واحفادهم يحصون عليه انقاسه .
ولا نعتقد نفرة بعضهم منه الا بسبب هجائه لم ، وهجوه ينبعث على الأغلب من نكتة اذا جاءته ارسلها . ولو كانت في عظيم لا يستحقها وتؤذيه فيحق عليه بها .
ولو كانت يحسب لكل ما يبتدعه من شعره حساباً لما هجا القاضي الفاضل ، وهو اعظم رجال عصره في السياسة والادب ، ومن أشرف رجال الدولة على التحقيق .
نعم أخذ كما قال ياقوت ، في الهجو بنفس طويل ، وتفنن بأساليب السب والثلب ، فأورد مالا يحسن ايراده حتى لقد هجا أباه ايضاً بقوله

وجنبني أن أفعل الخير والد ضئيل اذا ما عدا اهل المناسب
بعيد من الحسنى قريب من الخنا وضعيع مساعي الخير جرم المعاييب
اذا رمت ان اسمو صعوداً الى العلى غدا عرقه نحو الدنية جاذبي
ونحن نشك كثيراً في نسبة هذا الهجو له ، ولعل هذه الايات مما نخله اياه
اعدائه وخصماؤه . ومن هجاء ، والغالب انه كان يتبرم بعشرته ، ابن المهدي في
جواب رقعة طويلة ارسلها اليه :

وردت منك رقعة أسأمتني وثنت صبري الجميل كلولا
كتمهار المصيف حراً وكرباً وليالي الشتاء برداً وطولا
كان لشرف الدين دقة احساس الشاعر ، وكان جهبذاً نقادة ، وربما كان
قومه يريدون منه ان يقرهم على مساوئهم ، فما رأى غير اداته الشعرية يصورها
اليهم كل حين يشفي بها صدره من الخطاطم والتواء أخلاقهم ، فمن ذلك قوله
في الرشيد النابلسي ، وقد صفع ، يداعبه بل يثلبه :

تعجب قوم لصفع الرشيد وذلك ما زال من دابه
رحمت انكسار قلوب النعا ل وقد دنسوها بأثوابه

فوالله ما صفوه بها ولكنهم صفوها به

وقال يهجو وابن شيث ويضيف نفسه اليها :

انا وابن شيث والرشيذ ثلاثة لا يرتجى منا خلق فائده

من كل من قصرت يدها عن الندي يوم الجدا وتطول عند المائده

فكأنتا واو بعمر و ألقت أو اصبع بين الاصابع ذائده

وقال يهجو الموفق ابن مطران :

وقالوا اسعد بن الياس اضحى رئيساً لا حوته يد السعود

ولا اهجو الوجود وقد حواه لأن وجوده هجو الوجود

وقال يهجو ابن عساكر المعروف بخبز بدبس :

يا خليطك بالذبس قصر عن الش بر فقد قيل راج الشر خامر

وترفق بالجند فالجند آبا ؤك ان صح انك ابن عساكر

إذا صح الحكم عليه بهذه الأهاجي ، وما رأينا له في الموضوع الواحد غير

البيتين والثلاثة ، ومعظمها مرتجلة على ما يظهر بوردتها في مجلسه أو مع اصحابه ،

واكثرها مما يتعمده للنكتة ، فلنا أن نقول انها تنوقت بين القوم لسلاستها

وخفتها على النفس ، ولطالما تنوقل الردي المختصر وزهد في الجيد المطول ، والا

فان لابن عنين قصائد ومقاطع قالها في احوال كارثة كانت هي اولى بأن تشهره

بين الناس ، وان يتناقولوها ويتدارسوها ، خصوصاً ما صدر عنه في غربته ، وقد طالت

على ما يظهر ، وما كان يحمله رسائله الى اصحابه وغيرهم من هذا القليل فقد قال

من جملة قصيدة يذكر فيها اسفاره ويصف توجهه الى جهة المشرق :

أشقق قلب الشرق حتى كأني . أفش في سودائه عن منا الفجر

وقوله لأحد اصحابه بدر الدين مودود الشحنة كان بدمشق (مدير الشرطة) :

بذكرني البرق الشامي ان خبا زمانى بكم يا حبذا ذلك الزمن

وياخذ المصباح الايل و«عزتنا» اذا ما بدا والثلج قد عم القنن
أحبابنا لا أسأل الطيف زورة وهيمات اين «الديلميات» من «عدن»
وقد ذكر «عزتنا» غير مرة في شعره والغالب انها كانت مصطافه ولعلها كانت
قرب الفيحة على ما يفهم من اما كن اخرى ، والديلميات من ضواحي دمشق ،
وعدن بلد معروف في اقصى بلاد العرب . وكما هجا شاعرنا الرجال هجا البلدان
أيضاً ومما قال في الهند :

واذا سقى الله البلاد فلا سقى بلد الهند سوى الصواعق والدماء
وقال في حلب جامع الله :

قوم عهود رجالهم محلولة ابدأ وعهد نسائهم لم يحلل
من كل مائة الثياب رشيقة رُود الشباب كريمة في هيكل
وقال في جامع دمشق لما سلسلت ابوابه وفيه نكتة بدیعة .

سلوه اذا اجابكم سلوه سلوه من جن حتى سلسلوه
ولولا انكم بقر حمير لما منعوكم ان تدخلوه
وقال في المعنى :

لما رأى الجامع أمواله منهوية ما بين نوابه
من جن فمن خوف عليه غدا مسلسلًا في كل ابوابه
وكيف لا تعتاده خيفة وقد رأى المسخ لاربابه
القرود في شياكه حاكم والتيس في قبلة محرابه

مدح ابن عنين الملك المعظم في عدة قصائد وكان يذكره يوم دمياط مع
الصليبيين ومما قال :

واذا ذكرته أيام دمياط بيننا وبين العدى والموت تهوي عقابه
وقال من أخرى :

غداة لقينا دون دمياط جحفا
من الروم لا تحفى يقيناً ولا ظناً
قد انفقوا رأياً وعزماً وهممة
ودبنا وان كانوا قد اختلفوا لُسناً
تداعوا بأنصار الصليب فأقبلت
جموع كأن الموج كان لهم سفناً
وقال في رثائه :

لولا دفاعك بالصوارم والقنا
عن حوزة الاسلام عاد كما بدا
وديار مصر لو ونت عزماته
عن نصرها لتمكنت منها العدا
ولأمت البيض الحرائر كلها
فيها صبايا والموالي اعبدا
ولأصبحت خيل الفرنج مغيرة
تجتاب ما بين البقيع الى كدا
وبشر دمياط فكم من بيعة
عبد الصليب بها وكانت مسجدا
انقذتها من خطة الخسف التي
كانت احلتها الحضيض الا وهذا

ومدح نغر الدين الرازي وسيرها اليه من نيسابور الى هراة ، ولما كان بخوارزم
حضر يوماً درس هذا الامام العظيم ، وكان يوماً بارداً سقط فيه الثلج ، فبينما الشيخ
يلقي الدرس اذ سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها ، فلما
صارت بين الناس خاف الجارح وطار ، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من
الخوف والبرد ، فرق لها الامام نغر الدين وأخذها بيده وحنى عليها فأنشده ابن
عتين مرتجلاً :

يا ابن الكرام المطعمين اذا شتوا
في يوم مسغبة وثلج خاشف
العاصمين اذا النفوس تطايرت
بين الصوارم والوشيج الرافع
من نبأ الورقاء ان محلكم
حرم وانك ملجأ للخائف
وفدت عليك وقد تدانى حنقها
فحبوتها يبقائها المستأنف
ولو انها تحبى بمال لانشت
من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها
والموت يلعب من جناحي خاطف

فرم يطاردھا فلما استأمنت بجانبه ولی بقلب واجف
فطرب لها نحر الدين واستدناه واجلسه قريباً منه وبعث اليه لما قام من مجلسه
خلعة ودنانير كثيرة وبقي دائماً محسناً اليه .

ومن نكاته الشعرية انه شهد في بغداد مسألة عرضت على القاضي فما اخطى
حكمه فيها من لاذع تنكيتيه ، وذلك انه كان بمدينة السلام رجل له زوجة ويتردد
الى الزوجة شاب تزعم انه اخوها ، فجاء الزوج بعض الايام فراه معها فمنعه من
العبور الى بيته وتحاكاً على دعوى الزعم فلم يمنع المذكور من الدخول اليها ، وكان
اسم العاشق غياث وامم الزوج عمرو . ولم يستطع الزوج طلاقها لحبه لها فقال
ابن عنين :

غياث فاسمعوا قولی وعمرو لم عندي احاديث ظريفه
فزات ما عليه من جناح وقواد بتوقيع الخليفة
وقال فيها أيضاً :

غياث وعمرو فاسمعوا ما علمته لشيخين عندي من شئارهما شان
غياث نفى عن نفسه الحد في الزنا وعمرو بتوقيع الخليفة قرنان
حركت الغربة في شرف الدين اشرف عواطفه ، واهاج البعاد دقيق احاسيسه ،
وتجلت صورة نفسه يوم اقصوه عن أرضه وأهله ، كأن السلطان ما نقاه عن بلده
الا ليتغنى به ويتنزل بطبيعته الفتانة ، ويعرف الناس تفوق بلاده على غيرها في كل
ما تحبو به الطبيعة الاصقاع والبقاع . كان ذلك هجيراً في كل مكان نزله ، وفي
كل قصيد قصده ، والفضل في كل ذلك لمن نقاه فنقه ونفع الأدب به ، قال من
قصيدة يمدح بها صاحب اليمن السلطان طغتكين :

فأقبلت اجتاب البلاد كأنني قد ذى حال دون النوم في اعين رمد
فلم يبق حزن ما توقلت حزنه ولم يبق سهل ما جررت به بردي

ابك وبيكدي الدهر في كل مطلب فيابؤس دهري كم أكد وكم بيكدي
 طريد زمان لم يجد لصروقه بغير ذري الباب العزيزي من ورد
 فلما استقلت في ذراه بي النوى وألقت عصاها بين مزدحم الورد
 تنصل دهري واستراحت من الوجي قلوصي ونامت مقلتي وعلا وجدي
 قال في مطلع قصيدة يمدح بها السلطان المعظم شرف الدين عيسى بن أبي بكر
 ابن ايوب :

إذا جبل الربان لاحت قبابه لعيني وبانت من سنير حضابه
 وهبت لنا ريح أمتنا من الحمى تحدث عما حملتها قبابه
 وقامت جبال الثلج زهراً كأنها بقية شيب قد تلاشي حضابه
 ولاحت قصور الغوطتين كأنها سفائن في بحر يعب عبابه
 لثمت الثرى مستشفياً بترابه ومن لي بأن يشفي غليلي ترابه
 وقال يتنزل ويتشوق الى دمشق :

الاخبروني عن حمى «تل راهط» بلذ به سمعي وان فائني النظر
 وقصوا أحاديث «المصلى» وأهلها عليّ فما لي في سوى ذلك من وطر
 لقد طال عهدي بالمصلى وليفتني رأيت المصلى او سمعت له خبر
 وقال من قصيدة يمدح طغتكين :

ومحال قولي لنفسي عزاء سرعة السير شيمة الأنفاز
 لو تحلى القطا لنام ولو خلا بيت لم أريم عن وجاري وجاري
 ولو اني خيرت في هذه الدار يا لما اخترت غير قومي وداري
 وقال مغزلاً يتشوق الى دمشق :

يا يرقُ حي اذا مررت بمرتا أهلي وان زادوا جفا وتعنتا
 أبلغهم عني السلام قل لهم أحببنا هذا الصدود الى متى ؟

طال انتظاري للتلاقي فاجعلوا اصدودكم أجلاً يكون موثقاً
وكتب من بلاد الهند الى اخيه بدمشق هذين البيتين والثاني منها لأبي العلاء
المعري استعمله مضمناً فكان احق به وهما :

سأحت كتبك في القطيعة عالمًا أن الصحيفة لم تجد من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لأنه يسري فيصبح دوننا بمزاحل

وعلى الجملة فان ابن عنين شاعر عظيم بل هو كما قال ابن خلكان خاتمة الشعراء
لم يأت بعده مثله ولا كان في اواخر عصره من يقاس به ، ولم يكن شعره مع
جودته مقصوراً على أسلوب واحد بل تفنن فيه ، وكان غزير الأدب من الأدب ،
ومطعماً على معظم أشعار العرب ، وكان له في عمل الألفاظ وحلها اليد الطولى ، فمضى
كتب اليه شيء حله في وقته ، وكتب الجواب أحسن من السؤال نظماً . رحمه الله .

محمد كرد علي

الترب والمدافن الخاصة في الاسلام

اعتنى الانسان منذ آلاف السنين بالقبور والمدافن والبناء عليها ، خصوصاً مدافن الملوك والعظماء ، فأهرام مصر ومدافن الحثيين والآراميين والانباط والرومانيين لا تزال حتى اليوم ماثلة امامنا ، وما تزال الحفريات العلمية تكشف لنا بين آونة واخرى عن قبور ومدافن قديمة كانت مجهولة لدينا جاء الاسلام فلم يعن بالقبور والمدافن والبناء عليها ، وكان رأيه فيها « خير القبور الدوارس »

وامتزج الاسلام بعد ذلك بكثير من الشعوب ، ودخل كثير من ابناء هذه الشعوب في الاسلام ، فكان ان اصبحت قبور عظماء المسلمين من ملوك وامراء وعلماء واعيان مصانع شاهقة ذات قباب فنية رائعة عرفت بعد ذلك باسم الترب « جمع تربة » والذي يترجح لدي ان هذا الطراز من البناء اخذ عن اصل فارسي ، فقد كان بظاهر الكوفة قريباً من قبر الامام علي بن ابي طالب قبستان جميلتان تحت كل قبة قبر نسج المؤرخون حولها قصة ^(١) فقالوا ان الذي بناهما هو المنذر بن امري القيس بناهما على قبري ندييه اللذين امر بقتلها وهو سكران ، فلما أصبح وأخبر بالذي أمضاه ندم على قتلها وبني عليها طربالين ، وجعل لها في السنة يوم يؤس ، ويوم نعيم حزناً عليها ، وكان هذان الطربالان يبلطخان بدم من يقتل يوم اليؤس فلذلك لقبا بالغربين ^(٢) ايضاً لما يبلطخ بها من دماء

ومعها يكن من امر بناء هاتين القبتين فهما من العصر والطراز الفارسي ، وقد بقيتا الى العصر العباسي في النجف قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فلما مر الخليفة العباسي هارون الرشيد من ذلك الموضع وأخبر ان هناك قبر الامام

(١) معجم البلدان لياقوت طبع مصر ج ٣ ص ١٨٣ و٨٤ وفيه أساطير طويلة تدور حول هاتين القبتين . (٢) الترياق تثنية التري وهو المطلق بالفراء ، ولعل القبتين كانتا مطليتين بمادة تشبه الفراء أو نحوه فلما نسجت حولها هذه القصة زعم أن هذا الطلاء هو دم من يقتل يوم اليؤس .

علي امر ببناء قبة على قبره وكان ذلك بعد سنة (١٧٠) هجرية . ويقول الحسن ابن محمد الديلمي : امر هارون الرشيد ان يبنى عليه قبة بأربعة ابواب فبنيت ، وذكر ابن طحال ان الرشيد امر ان تبني عليه قبة فبنيت من لبن احمر وطرح على رأسها جرة خضراء وهي في الخزانة اليوم ^(١) .

لاريب ان قبة قبر الامام علي هي اول قبة من نوعها في الاسلام مادام لا يوجد لدينا نص يدل على ما هو اقدم منها ، ووجود الطربالين او الغربين قريباً منها يجعلنا نحكم بأن قبة الامام تأثرت بهما الى حد ما .

والظاهر ان مثل هذه القبة وضعت بعد فترة من الزمن على باقي قبور الأئمة من اهل البيت النبوي ، ثم شاع استعمالها في أنحاء البلاد الاسلامية ، وتورد ذكرها كثيراً في كتب الطبقات والتراجم باسم التربة .

وقد عقد المقرئ في خطه بحثاً خاصاً بترب مصر ^(٢) كما فعل مثل ذلك النعمي والملموي ^(٣) والبقاعي في ترب دمشق ^(٤) ، ومحمد بن طولون في ترب صالحية دمشق ^(٥) .

معنى التربة والطربال

واذا طلبنا معنى التربة في كتب اللغة نجد صاحب المصباح يفسر التربة بالمقبرة منع ان التربة التي ترد في كتب التاريخ والتراجم والخطط لا يراد بها المقبرة او القبر وان كان في التربة شيء من معناهما ولكن يراد بها تلك القبر الفخمة التي تكون على قبور العظماء من ملوك وامراء وعلماء واعيان

(١) أعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٨٧ (٢) ج ٢ ص ٣٦٨ و ٢٩ طبة الميحي .

(٣) النعمي هو عبد القادر النعمي الشافعي ذكره في كتابه تليه الطالب وارشاد الدارس (مخطوط) ومنه نسخة في المجمع العلمي العربي بدمشق ، والخزانة التيمورية ببحر في دار الكتب المصرية ، والعلموي هو عبد الباسط بن موسى العلموي اختصر كتاب تليه الطالب وزاد عليه في بعض

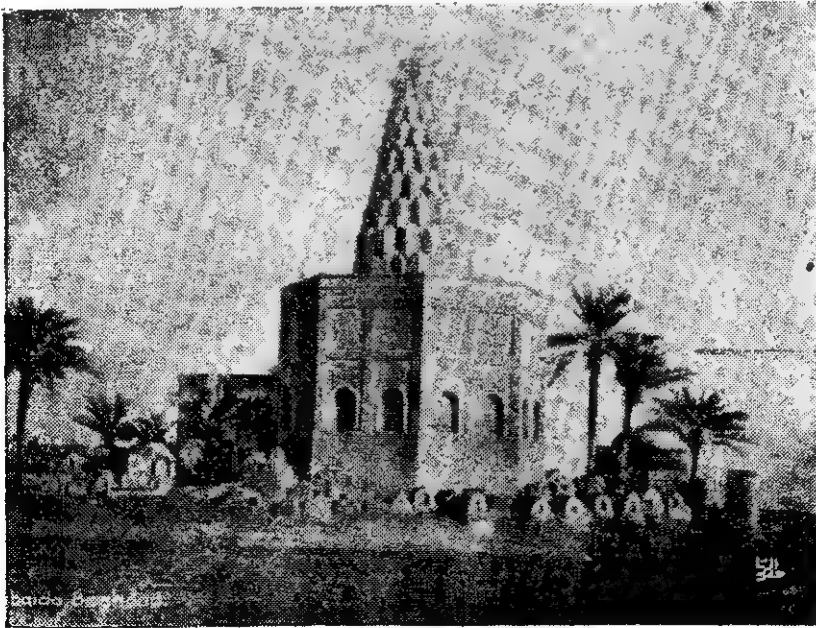
المواضع (مخطوط) ومنه نسخة عندي والمجمع العلمي العربي بدمشق وبالتيمورية ببحر .
(٤) البقاعي هو احمد بن احمد بن علي البقاعي الحنفي اختصر كتاب التنية ايضاً ومنه نسخة عند

السيد احمد حيد بدمشق . (٥) له كتاب أسماء القلائد الجوهري في تاريخ الصالحية .

ومنه نسخة غوطرافية في المجمع العلمي بدمشق وبالتيمورية ببحر .

والذي يترجح لدي ان لفظ التربة مأخوذ من الطربال الذي خفف بحذف آخره فصار طرباء، وتداولته الالسن فظن بعد ذلك تربة للشبه القريب بين طربا وثرابه في اللفظ والمعنى واذ رجعنا الى معنى الطربال في كتب اللغة وجدناه هو المراد لما يقصده المؤرخون واصحاب الخطط من معنى التربة . ففي نهاية ابن الأثير : الطربال هو البناء المرتفع كالصومعة . وفي معجم البلدان لياقوت : الطربالان هما بناءت كالصومعتين بظاهي الكوفة قرب قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه . وحينما نرجع الى كتب اللغة نجد انها اوضحت معنى الصومعة ايضا كافياً . ففي القاموس : الصومعة بيت للنصارى لدقة في رأسه ، وفي اساس البلاغة : من المجاز قولهم للثريدة اذا رفع وسطها وحدد رأسه ودقق « الصومعة » . وفي المختار ثريدة مصمعة اذا دقت وحدد رأسها ، وصومعة النصارى من هذا لأنها دقيقة الرأس

وفي مقبرة بغداد قبة من رائع الفن العراقي ينطبق وصف الطربال عليها تمام الانطباق وهذه صورتها



ومنذ منتصف القرن الخامس الهجري اخذت التربة ترتدي ثوباً علمياً وتتطبع بطابع ثقافي فكان يضاف الى التربة مدرسة علم ، او مكتبة مطالعة ، او مكتب لتعليم الأيتام والاطفال ، او مسجد للصلاة يكون فيه درس علم او قراءة قرآن ، ففي سنة (٤٥٩) بنى شرف الملك محمد بن منصور الخوارزمي قبة^(١) على قبر الامام ابي حنيفة والى جانبها مدرسة كبيرة للحنفية ولما تم بناؤها دعا اليها الفقهاء والعلماء والاعيان وأنشد الشريف البياضي الشاعر

الم تر ان العلم كان مبددا فجمعه هذا المسجد في اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة فأنشروا فعل العميد ابي سعد

والظاهر ان هذه المدرسة هي الأولى من نوعها حيث يقوم معهد علمي الى جانب قبر رجل عظيم تسمى المدرسة باسمه .

ومنذ هذا الوقت اخذت المعاهد العلمية تشاد الى جانب قبور العظماء ، وهذا ما دعا اصحاب كتب الخطط ومؤرخي مدارس العلم لجعل فصل خاص بالترب لما لها من ناحية ثقافية . جاء في ترجمة علي بن علي بن روزبهار بن باكير الكاتب البغدادي انه وقف كتبه بمشهد^(٢)

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٨ و ١٩٩ المطبعة الأميرية ، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥
(٢) المشهد اسم مكان من الشهادة ، والشهد هو من قتل في سبيل الله فكان دمه المغلول يشهد له بجهاده ، والذي يظهر لي ان هذه اللفظة استعملت أولاً للنباتات التي شيدت على قبور أهل البيت ، وان أول ما أطلق منها على مشهد الحسين رضي الله عنه حيث دفن بالمكان الذي استشهد فيه ثم على قبر أبيه الامام علي رضي الله عنه ثم على بقية قبور الأئمة حيث أن أكثرهم مات قتيلاً أو سماً ، ثم اتصل ذلك إلى أهل السنة فنوا على قبور أئمتهم ومشاهيرهم مصانع دعت بالمشهد أيضاً كمشهد أبي حنيفة في بغداد ، ومشهد الرافعي في أم عبيدة ، وتوسع رجال الشيعة وأهل السنة في هذا فكانوا يبنون مشاهد على غير قبور وينسبونها لاسم أحد المشاهير المتحقق دفته ووفاته في بلدة أخرى ، فاذا سئلوا عنها أجابوا بأنهم شاهدوا صاحب هذا الاسم بالنام في هذا المكان وانه طلب ذلك منهم . ونشأ في العهد الفاطمي نوع آخر من المشاهد صبغت السياسة ، فكان الفاطميون إذا استولوا على الشام اظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوها إلى أهل البيت ، وإذا استولى العباسيون أو السلجوقيون اظهروا قبوراً ومشاهد ونسبوها إلى بعض الصحابة ، ولذلك فكثير من قبور ومشاهد كلا الفريقين في الشام ومصر مشكوك فيها .

مومي بن جعفر^(١) وشرط ان لا تعار^(٢)

وفي ترجمة الوزير مجد الدين البهنسي المتوفى سنة (٦٢٨) انه جعل كتبه وقفاً بترته بسفح قاسيون واجرى عليها اوقافاً جيدة^(٣)

وانتشر في العصر الايوبي بناء المدارس الى جانب الترب انتشاراً عظيماً ففي سنة (٥٢٧) بنى صلاح الدين الايوبي تربة الامام الشافعي وانشأ المدرسة الصلاحية بجانبها ، وبني مدرسة مجاورة للشهد المنسوب للحسين بن علي^(٤)

ولما توفي صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٩) دفن في قلعة دمشق حتى جاء ولده العزيز عثمان الى دمشق فبنى له تربة والى جانبها مدرسة هي من اعظم مدارس دمشق وقف لها وفقاً مليحاً ونقل اباه صلاح الدين اليها^(٥)

ولما توفي الملك العادل اخو صلاح الدين سنة (٦١٥) دفن في قلعة دمشق أيضاً ، فبنى له ابنه الملك المعظم تربة ومدرسة دُعيت باسمه ونقل اباه اليها^(٦) ، والمدرسة المذكورة هي مقر المجمع العلمي العربي بدمشق .

هذه صورة مجملة عن تاريخ الترب الاسلامية وهي تختلف كل الاختلاف عن ترب ومدافن الامم القديمة الخاصة التي لم يقصد منها الا تخليد الذكر والفخار لأصحابها بخلاف المدافن الاسلامية الخاصة التي قصد منها خدمة العلم والثقافة مضافاً الى ذلك تخليد اسماء المشاهير من عظماء المسلمين .

محمد احمد دهمان

دمشق :

(١) هو الشهير بموسى الكاظم بن جعفر الصادق ويعد موسى ثامن الأئمة الاثنا عشرية توفي في بغداد سنة (١٨٣) قبل ان ينفذ في مسموماً .

(٢) الواقى بالوفيات في المكتبة الأشعرية بالاسنانة رقم المخطوط (٢٩٢٠) عن السيد يوسف العش . ولعلي بن علي بن رزوهار ترجمة في الجزء التاسع من عنوان التواريخ لابن الساعي . نشره مصطفى جواد في بغداد عام ١٣٥٣ هـ .

(٣) تنبيه الطالب ، ومختصره للعلمي والبقاعي .

(٤) تاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٣٢ المطبعة الأميرية والجمهورية ج ٦ ص ٥٥ و ٥٥ والتعليقات عليها . (٥) تنبيه الطالب ، ومختصره للعلمي والبقاعي . (٦) المصدر نفسه .

هل عرف العرب البلهارزية

١ : توطئة

ليس كاتب هذه الكلمة طبيباً ، انما درس الطب في شبابه مدة سنتين ، ثم عدل عنه الى تحصيل الفلسفة وعلم اللاهوت في مونپييه *Montpellier* ، في فرنسا للترهب فأكبّ عليها سبع سنوات ، ثم ترهب .
فما تقرأ هنا ، لا يعتمد عليه الاً من باب الاطلاع والفضول والوقوف على ما يكتب ، لا من باب العلم الذي لا يرتاب في حقيقته ، ولا من باب التأكيد الذي لا ريب فيه .

ان البلهارزية لم تخلق في هذا العصر ، ولا قبل عصور عدة ، انما وجدت مع وجود العالم ، وهي « دودة مستطيلة : الى البياض مائي ، طولها ثلاثة خطوط ، واغلب ما تكون في الاوردة الصغيرة ، في الفشاء المخاطي المبطن للمساالك البولية ، وتسبب البول الدموي في اهالي ديار النيل » (عن لتره في معجمه الطبي)
وبلهارزية ، كلمة منسوبة الى الطبيب الالماني الذي اكتشفها في مصر واسمها *Bilharz* فالعرب كانوا في وادي النيل وعاشوا فيه ، وابتاؤهم لا يزالون في تلك الديار ، وهم يصابون بالبول الدموي الى عهدنا هذا ، فلا بد من ان اجدادهم عرفوا هذا الداء والدودة التي تسببه ، فما كانوا يسمونها ؟

٢ : البلهارزية هي قملة النسر .

قرأت في القانون لابن سينا ما هذا نصه الذي اقله بحروفه عن نسختي الخطية (ظهر ص ٧٢٣ وتقع في المجلد ٢ : ١٤٨ من طبعة رومة) :

« فصل في قملة النسر المسماة (دَدَه) بالفارسية ، و (صملوكي) باليونانية ،

و (طغانوس) بالهندية .

• «وهذه هامة كلقملة ، او كأصغر الديدان ، قال جالينوس : هي صغيرة لا يتوقى منها ، وتكاد لا تبصر لسعتها ، وهي مما تفجر الدم بولاً ورعافاً ، ومن المقعدة ، ومن المعدة ، بالقي ، ومن الصدر والرئة ، ومن اصول الاسنان . وربما عظم الخطب فيها ، فلم تقبل الدواء » انتهى

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان ٥ : ١٢٠ : « وكذلك يقال ان البعوضة لو ألحقت بمقدار جرم الجرارة ^(١) ، فانها اصغر العقارب . ثم زادت من تضاعيف ما معها من السم على حسب ذلك ، لكأنت شراً من الدويبة ، التي تسمى بالفارسية دده ^(٢) وهي أصغر من القملة ^(٣) شيئاً . وتكون بهرجان قذق ^(٤) ، فانها مع صغر جسمها ، تفسخ الانسان في امرع من الاشارة باليد ، وهي تمض وتوسع ، وهي من ذوات الافواه ، وهي التي يزعمهم يقال انها قلة استحالت هذه الدابة الخبيثة » انتهى .

٣ : سبب تسميتها بقملة النسر

يظن بعضهم ان قملة النسر سميت بهذا الاسم لأنها تكون فيه ، لا تخرج منه ، فتهجم على الناس . هذا في رأي الأقدمين ، وليس من العلماء المحدثين من يرى هذا الرأي ، فهي لا توجد فيه ، وان وجدت ، فكيف تصل الى الانسان وكيف تهجم عليه ، ولا سيما في المواطن التي لا تسر فيها ، ولا أثر له فيها ؟ ثم كيف تصل الى مسالك البولية ؟

والذي عندنا انها سميت بذلك للاشارة الى انها فتك بالانسان ، فتك النسر بصيده ، او من باب اضافة الحقير الصغير الى الجليل الكبير ، تعظيماً له ولأمره ولتعلوه . فقد قال الأقدمون منا : أسد الله ، وسيف الله ، وقوس الله ، ورمح الله ،

(١) الجرارة : ضرب من القرب صغير خيث يعرف بهذا الاسم في بندا ، واحده جرارة . وفي الأصل المطبوع الجرادة وهو خطأ .

(٢) وفي الأصل المطبوع ذروة وهو خطأ بين .

(٣) وفي الأصل المطبوع : أكبر من القملة شيئاً ، وهو وهم آخر .

(٤) وفي الأصل المطبوع : بهرجان فوق ، وهذه كلمة أخرى .

وكتب الله ، الى نظائرها من التعابير ، ونحن نعلم ان ليس لله أسد ولا سيف ولا قوس ولا رمح ولا كلب ، بل كل ذلك من باب التعظيم والاجلال .
٤ : مترادفات قملة النسر

قال ياقوت الحموي في معجم الادباء في ترجمة علي بن منصور الحلبي (طبعة مرجليوث ٥ : ٤٣٧) ^(١) : « واتفق ان الطيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة ، وهي التي تسمى التراقي ، ويقال لها قملة النسر أيضاً ، فمات منها ، وكان نصرانياً » اه .
وذكر التراقي ابن الاثير في كامله . قال (في المجلد ١٠ : ٣٧٤ من طبعة الافرنج) : « في هذه السنة (٥١٢) . سادس عشر شهر ربيع الآخر ، توفي المستظهر بالله ، ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله ، وكان مرضه التراقي ^(٢) »
وعندنا ان التراقي من اصل فارسي هو (تراك) كسحاب وكتاب . ومعناها الشق والفلع والفلق وسمي كذلك لأن هذه الدودة تحدث فلماً دقيقاً في المكان الذي تقيم فيه ، وعربت بقاف في الآخر وزيادة الياء ، كأنهم أرادوا ان يقولوا : ذات الصدع او الصاعدة .

على أن لما تأويلاً في اللغة الضادية وهو : ان التراقي جمع ترقية مصدر رقي .

(١) نحن لا نستشهد بطبعة الدكتور احمد فريد وفاعي بك فانها لكثيرة الغلط والتصحيف وأوهام الطبع ، فان هذه الترجمة وقعت في المجلد ١٥ من ٨٣ وما يليها . فقد جاء مثلاً في الآيات المذكورة في ص ٨٧ ما هذا انه : « ان الزمان قد نضر » وفي مرجليوث : قد نصر — وفيها : قد عدا على النصر . وفي مرجليوث : قد غدا — وفيها : من غره — وفي مرجليوث : من غرة . ونحن لا نفكر ان رواية الدكتور أوجهاً أصبح من أوجه مرجليوث لكن يحسن به أن يذكر الروايين ليبين الفرق بينهما وينتهي القاري ما يشاء أو ما يستصوبه .

(٢) لاحظ ابن الاثير ان المقتني لأسر الله بن المستظهر بالله مات بالة التي توفي بها والده ، وهذه عبارته : « في هذه السنة (٥٥٥) ثاني ربيع الأول توفي امير المؤمنين المقتني لأسر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس احمد بن المقتدي بامر الله رضي الله عنه جلة التراقي . . . ووافق أباه المستظهر بالله في علة التراقي ، وماتاً جميعاً في ربيع الأول » اه .
ولا شك ان الابن تلقى مرضه من والده ، وإن لم يكن هذا المرض مدياً في حد نفسه .
هذا الذي يبين من الظواهر ، ولعل هناك شيئاً آخر يدلنا عليه اطباؤنا المهرة الحذاق .

وسبب تسميتها بذلك انها اذا دخلت الجسم ارتقت فيه شيئاً فشيئاً حتى تبلغ مسلك البول ، فتجد فيه بيئة صالحة تعيش فيه وتنمو نمواً يزيد بها توالداً وتكاثراً ، فهي ذات تراقي .

وأما اسمها (الشقفة) فانه مشتق من الإِرمية من فعل (شقف) ومعناها الرضة والشدخة والصدعة اي بمعنى اختها (التراقي) ، ان سلطنا انها من الفارسية ، وهو الرأي الاشبه . ويجب ان تضبط (الشقفة) وزان (الغرفة) بخلاف ما ضبطها الدكتور احمد فريد رفاعي بك اذ جاء البيت الآتي مضبوطاً هكذا :

بشقفه بين منكبيه رشاًوها في قلب قلبه
وهنا غلط آخر وهو ضبط المنكب ، ككبر والصواب ككزول .

وقد شرحنا سبب تسمية هذه الدودة بقملة النسر فلا نعود الى ذكره ثانية .
وان قال قائل : ليست قملة النسر بالبلهارزية فنسأله : اذن ماهي ؟

هـ : دودة اخرى : خرز الطين

وذكر القانون بعد قملة النسر هامة أخرى سماها « خرز الطين » ووصفها هكذا ، فقال :

« فصل في الطبوع وخرز الطين ، وهي دابة كثيرة الأرجل ، حادة السم ، هي في أحكام قملة النسر » ا هـ .

قلنا : اذن هي مؤذية اذى قملة النسر ، أفلا يوافق هذا الوصف ما قيل في الهامة التي يسميها العلماء : *Trichodectes* ، فانها كثيرة الأهداب او الارجل وتعيش في المستنقعات ، غريبة الشكل ، تكاد تشبه الخرز في ظاهرها ، وتثبت بالكلاب فيقال لها *Trichodectes canis* ، وبالبحري فيقال لها : *T. climax* ، وبالبحري فتدعى

T. scalaris وبالخرافان فتسمى *T. spheroce phalus*

فأنا اطرح هاتين الكلمتين على مائدة النقد والتحقيق والتدقيق في النظر ، لتبجلي الحقيقة الفاصلة في هذا الموضوع الغريب :

ومن العجب ان معاجم اللغة لم تذكر اسماً من الأسماء الثلاثة ، ولا خرز الطين . وقد جاءت هذه الأخيرة مصحفة تصحيفات غريبة في نسخ القانون ، من مطبوعة ومخطوطة ، وانا اذكر هنا ما وقع طائر بصري عليها وهي : خزر الطين ، بتقديم الزاي على الراء . — وخرز الطين ، يزاين . وخرز الطين ، بجاء مهمل وراء وزاي — وخرز الطين ، بجيم وراء وزاي . وعسى ان يقوم من دكاورتنا المعنيين في الطب واللغة ، من يزيل الابهام عن هذه الالفاظ فيكسب شكر جميع الناطقين بالضاد .

الأب انستاس ماري الكرمل

بغداد :



مفردات القرآن

ولانقول غريب القرآن ، لأن مدارسة القرآن على ألسن الملايين من الناس منذ بدء الوحي الى هذا العهد ، أخذت على الغرابة بجامع السبل ، فلم تجد اليه سبيلا ، فلا تجد لفظة من ألفاظه غير مألوقة الاستعمال ، ومعروفة المعنى ، واضحة المغزى . وهل الغرابة في الألفاظ الا كونها غير اليفة ، فيحتاج في معرفتها الى التنقيب عنها في مطاوي المعاجم المبسطة . وقد يمدوا الغرابة من عيوب الفصاحة ، فأئى لنا أن نلصقها ببعض ألفاظ القرآن ، وقد اجمع الأولون والآخرون على انه أفصح كلام عرفته اللغة العربية ، منذ كانت في المهد الى هذا العهد .

هذا ولسنا بحاجة الى بيان ما للقرآن من اليد المشكورة على لغة العرب ، لأن هذا من أوائل البديهيّات ، فلقد كان القرآن ولا يزال ، المعين الفياض لعلماء اللسان . يردونه ظاه ، ويصدرون عنه رواء . ومن ثم توافروا على ضبط مفرداته ، وتحرير لغانه ، واستقصاء حقائقه ومجازاته ، وتصاريحه وكتاباتاه ، ودقائقه ونكاته ، وذلك لأن الناحية اللسانية هي أول ما يستقبل طالب علوم القرآن من القرآن . ولهذا رأينا علماء الدين وطلاب اليقين يسرون في هذه الناحية الى جنب علماء اللغة كتفًا لكشف ، فأسفر هذا التآزر عن احسن النتائج وأعظم الفوائد . وبدبهي ان مفردات القرآن كثر اكيبه هي لب لباب كلام العرب ، وصفوة الصفوة منه ، وانها معتمص المتأدبين ، ومرجع العلماء المحققين ، بل مثابة أمراء القول من المتقدمين والمتأخرين . والله شيخ المعرفة حيث يقول في عرض كلام له في رسالة الغفران « اجمع ملحد ومهتدي ، وناكب عن الحجة ومقتدي ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد ص كتاب بهر بالاعجاز . ولقي عدوه بالارجاز ، ما حذي على مثال ، ولا أشبه غريب الامثال . . . وان الآية منه او بعض الآية لتعرض في أفصح كلم يقدر عليه الخلقون ،

فتكون كالشهاب المتلألئ في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق .
ولا مربية في أن القرآن كان يخاطب العرب على وفق مناهجهم في مخاطباتهم
وخطاباتهم ، وتفاهمهم في أفرادهم وجماعاتهم . وكان الصحابة يعرفون أكثر ما يرمي
اليه من المعاني ، وما يومي اليه من المغازي ، واذا غم عليهم شيء من ذلك فزعوا الى
الرسول الكريم ، فينير لهم السبيل .

وأكثر ما يكون تسالم عن الكلمات التي تصرف القرآن في أوضاعها ، وحولها
عن مجاريها الاعتيادية الى معاني جديدة لم تكن من مألوف القوم قبلاً . مثل :
القرآن . والايان . والكفر . والصلاة . والزكاة . بمعانيها الشرعية . وقد غبر الناس
على هذا حياته ص . ثم مدة حياة أصحابه من بعده ، الى ان فتح على العرب بمالك
الأعاجم ، واختلطوا بجمرائها ، وصفرائها ، ويضائها ، وسودائها . ومن هناك أخذ
الناس يدخلون في دين الله أفواجا من بين فارسي ، ورومي . ونبطي ، وحبيشي ،
وغيرهم من مختلف الألوان التي دانت لسلطان الفاتحين ، فاختلف القوم بالقوم بالمساكنة
والمجاورة ، والمخاتنة والمصاهرة ، والمصاحبة والتجارة . وبذلك تداخلت اللغات ،
ونشأت ناشئة من صميم العرب في أحضان هذا التبليل ، فجاءت مختلفة السلائق ،
مضطربة الألسنة ، كما نبئت نابتة من أبناء الأعاجم ثقفت من العربية ما يسد حاجتها
في المخاطبات والمحاورات . ومن هنا ذر قرن لغة أمشاج ، لاهي بالعربية الصافية .
ولا العجمية الصرفة ، ولم تفتأ هذه اللغة ان ملكت المهجين من السنة الدهماء ،
واحتلت مكانة ضيقت فيها على العربية أنفاسها . وما كاد ينطوي بساط المئة الأولى
للمجرة حتى بدت وجوه الاختلال سافرة ، وظهر الاضطراب في عمود اللغة كل الظهور .
ومن هنا شعرت جمهرة القوم بميس الحاجة الى الاستفسار عن كثير من الفاظ
القرآن الكريم ، واستجلاء معانيها التي كان أسلافهم يدركون مرامها بحكم
سلائقهم ، لأنها من نوع ما كانوا به يتفاهمون ، وعلى نمط ما به يثرون وينظمون .
ولما رأى عقلاء الأمة وأهل العلم استرسال أمر الاختلال ، وتفاقم الاضطراب

والاختيال - استفزتهم الحمية وأهابت بهم الغيرة ، فانصرف فريق منهم لرأب هذا الصدع ، وسد هذا الثغر

وأول من بلغنا انه جمع شيئاً في تفسير بعض مفردات القرآن ابو عبيدة معمر ابن النخعي المتوفى سنة ٢٠٩ فقد ذكروا أنه الف في هذا كتاباً اسماه (المجاز في غريب القرآن) وآخر اسماه (معاني القرآن) . والمراد بمعاني القرآن تفسير مفرداته . وهو اصطلاح معروف عند المتقدمين . وحيث رأيت في كتب علوم القرآن : قال أهل المعاني فالمراد بهم مصنفو الكتب في مفردات القرآن . وتجد في فهرس كتب الأصمعي كتاباً اسمه : غريب القرآن . والأصمعي من معاصري أبي عبيدة وتأخر عنه قليلاً .

ثم أقبل أهل العلم على التأليف في هذا الموضوع حتى لا يكاد يقع نظرك على فهرس من فهارس أئمة اللغة الا وتجد صدره متخلياً باسم كتاب في هذا المعنى . منهم الزجاج والفراء ، ومحمد بن القاسم الأنباري ، وابو عمر الزاهد ، ومحمد بن عبد الواحد . وابن دريد وغيرهم خلق كثير . وكان من اجمعها كتاب ابي عبيد القاسم ابن سلام (المتوفى سنة ٢٢٣) وكانت الكتب المصنفة في هذا الفرع من العلم عاربة من الترتيب غفلاً من التبويب ، وكانت بالجاميع اللغوية أشبه منها بالكتب ذات الفصول والابواب . واستمر الامر على ذلك الى ان جاء ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني (المتوفى سنة ٢٣٠) فألف كتابه المشهور (بنزهة القلوب) ورتبه على حروف المعجم ترتيباً لم يسبق اليه ، فبدأ بالهززة المفتوحة ، وثني بالمضمومة ، وثالث بالمكسورة . وهكذا فعل بسائر حروف المعجم على الترتيب المشهور . وهذا الكتاب على صغر حجمه من أئقن ما ألف من نوعه . وقد قيل انه أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يجره هو وشقيقه أبو بكر بن الأنباري ، وكان يتعهده بالتصحيح والتجويد بين حين وآخر . ولم تزل التأليف في هذا الباب آخذة في الاتساع من حيث الكمية ، والاجادة

من حيث الكيفية ، الى ان جاء ابو عبيد احمد بن محمد الهروي (المتوفى سنة ٤٠١)
وصنف كتاباً كبيراً جمع فيه بين غربي القرآن والحديث ، ورتبه على
حروف المعجم فاستخرج الكلمات اللغوية التي تحتاج الى التفسير والتوضيح ، واثبتها
في حروفها وذكر معانيها . فاذا اراد الانسان كلمة وجدها في حروفها . فجمع كتابه
هذا بين دقة التحقيق ، وجودة الترتيب والتبويب . ولذلك اعتمد عليه الناس من
بعده واكثروا عليه من الاستدراكات والتعليقات والاضافات ، الى ان جاء الحافظ
ابو موسى محمد بن ابي بكر المديني الاصفهاني فصنف كتاباً جمع فيه ما فات الهروي
من الغريبين ، وسلك في وضعه وترتيبه مسلك الهروي ، فجاء مماثلاً له حجماً وفائدة ،
وغير الناس يعتمدون في هذا الأمر على هذين الكتابين الجليلين وما سبقهما
من الكتب المهمة الى ان جاء أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الاصفهاني
(المتوفى سنة ٤٠٢) فألف كتابه مفردات الفاظ القرآن ، مرتباً على حروف الهجاء ،
مقدماً ما أول اصوله الهمزة ثم الباء الى آخر حروف المعجم ، مشيراً الى المناسبات
التي بين الالفاظ المستعارة والمشتقة . فجاء كتابه هذا من أحسن ما ألف في باب من
حيث غزارة المادة ، وكثرة التحقيق ، وحسن الاختيار ، وبعد النظر ، فهو - في
نظرنا - افيد معجم يرجع اليه الطالب في تحقيق معاني الالفاظ القرآنية ، وعليه
اعتمد البيضاوي في تحرير تفسيره من ناحية معاني الالفاظ وأصول اشتقاقها . ولم
نعرف من بعده كتاباً يفضل في موضوعه هذا ، ومن الواضح أن المؤلفين في هذا
الفرع يستقون حاجتهم في المعين الذي تستقي منه اللغة العربية على العموم ، زيادة
على استعانتهم بالاحاديث النبوية وآثار الصحابة ، كالنقل عن ابن عباس وأصحابه
الآخذين عنه ، فانه ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير الجدير بالاعتماد تجد
ذلك منشوراً في كتب التفسير ودواوين اللغة . وقد أحصى منها جلال الدين السيوطي
في (الاتقان) ما يقرب من ثمانمائة كلمة مع تفسيرها على طريق الایجاز .

خريطة العالم العربي

من سنة ١١٥٤ ميلادية

حصر الغرب اللغات العلمية المدنية باللغتين اللاتينية واليونانية . وأرى انه كان للغة العربية في القرون الوسطى أثر في المدنية الغربية ، فهي فضلاً عن أنها أم المدنية الاسلامية ، تستحق أن تعد ثالثة اللغات المدنية الغربية . وبرهاناً على هذه الحقيقة التاريخية (التي ظلها الغرب في ابنتها الشرعية) أقدم لكم شاهداً عدلاً وهو : ان أول خريطة عالمية بالمعنى العصري ، كانت تحتوي على تفاصيل جغرافية اوربا وافريقية وآسيا ، نشرت في أوربا سنة ١١٥٤ ميلادية ، وكان نشرها باللغة العربية .

وقعت قبل هذه الخريطة بالف سنة محاولة وضع خريطة عمومية باللغة اليونانية للأراضي المعروفة في تلك العصور وقد رسمها بطليموس بمصر . الا أن خريطة هذا العالم الكبير لم تكن وافية . لأنه ذكر في خريطته نحو ثمانية آلاف من أسامي الأماكن . والى الآن لم يتمكن أهل العلم الا من تعيين أقل قليل مما ذكر في خريطته . أما هذه الخريطة العربية فكل ما ذكر فيها من الأسماء والأماكن ترد اليوم في خرائطنا العصرية ومعلومة لنا بأعيانها من غير التباس ، فحق لنا أن نعتبر هذه الخريطة خريطة عالمية بالمعنى الذي نعرفه اليوم من هذا اللفظ .

رسمت هذه الخريطة بمدينة بالرمه *Palermo* في جزيرة صقلية . رسمها ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الادريسي . يقال أنه ولد في أسيوط سنة الف ومئة ميلادية . وتوفي سنة ١١٦٣ ميلادية وكان يشتغل بالعلوم في قرطبة ، وقد ساح الأقطار وألقى عصا التسيار في جزيرة صقلية عند ملكها روجار الثاني ملك جزيرة صقلية وايطاليا الجنوبية وقسم من شبه جزيرة البلقان من سنة ١١٣٩ — الى سنة ١١٥٤ . وعاصمته مدينة بالرمه

وكان هذا الملك يُعنى بالجغرافيا ، كان يجمع المعلومات الجغرافية من أقطار العالم كافة ، ثم عزم على هذا العالم العربي الادريسي أن ينشر هذه المعلومات ويرسم عليها خريطة جغرافية لأوروبا وأفريقية وآسيا . فقام الادريسي بهذا الأمر المهم حق القيام ، ونشر كل ما جمعه الملك من المعلومات ، وزاد عليها وكلها بما حصله هو نفسه باجتهاده طول عمره .

فوضع أول مصوّر عالمي باللغة العربية وقد حفره ونقشه على لوح فضي بشكل خوان ، يقوم على قوائم ، طوله متر ونصف وعرضه ثلاثة أمتار .

صرف الادريسي في سبيل تحقيق المعلومات التي كان جمعها الملك روجاراً ، وفي ترتيبها ، وفي جمع المعلومات الجديدة ، وكتابتها وحفرها زيادة على خمس عشرة سنة كاملة . وفي السنة (١١٥٣ — ١١٥٤) وهي السنة الأخيرة من هذه الأعمال الكبيرة أصاب الملك مرض ، والغالب ان الادريسي عجل في اتمام عمله وخريطته حتى يراها الملك العظيم قبل موته ، وقد وفق الى اتمام عمله الكبير في ربيع سنة ١١٥٤ ميلادية حتى تمكن الملك الكريم من رؤية نتيجة مساعيه الجليلة ، فتوفاه الله بعد قليل من الزمن .

وقد كان لهذه الخريطة في عهدها أثر عظيم فانتبه لذلك الشرق والغرب . يشهد بذلك كثرة النسخ المحفوظة في الخزائن الغربية ، ومن الأسف أن تلك النسخ كلها متجزئة . فما كان الناسخ يستنسخ الا ما كان له علاقة بوطنه . ولم يعهد من استنسخ الخريطة باجمعها . أما الخوان النضي الذي خرطت عليه هذه الخريطة البديعة فقد صار فريسة حروب ، فضاغت الخريطة بيد طامع طمع في فضتها فأذاها .

وجاء العالم الألماني كونراد ميلار *Konrad miller* فبعث هذه الخريطة البديعة بجميع أجزائها المشتتة من قبورها المتفرقة ، فاشتغل هذا العالم ستين عديدة جامعاً كل الاجزاء وكساها شكلاً يشبه هيئتها الأصلية وطبعها سنة ١٩٣٧ ، وكتب الأسماء العربية كلها بالحروف اللاتينية . وصارت كل الحروف منكوسة رؤوسها

الى اسفل ، على نظام الخرائط العربية القديمة ، لأن الجنوب فيها فوق الصحيفة .
ثم طبعت الخريطة سنة ١٩٣١ طبعة ثانية . وقد أرسلت اليكم بنسخة منها فوتوغرافية .
ومن يرغب في اقتنائها فليراجع ناشرها في لبيسك .



ولنتظر نظرة اجمالية اول خريطة للعالم المتمدن القديم ، ولا يتعجبنا الناظر
اذا رأى قلة الالتقان في تخطيط حدود البحار والأراضي لأن أسباب الالتقان لم تكن
متوفرة عندهم في تلك الأزمان ، حتى لم تكن عندهم الابرة = البوصلة *Bussola*
ولم يكن عندهم ما به يمسحون المسافات البعيدة . وما كانوا يسمون الا على صور
ذهنية كانت تحفظ في حافظاتهم بالمشاهدة الذاتية او من حكايات أهل السياحة .
ويظهر لنا من خريطة الشريف الادريسي انه كان يعرف الغرب والشرق
معرفة جيدة ، وان لم يكن يجيد الرسم . ومركز المعمورة في زمنه على حسب عقيدته
كان الشام بمدينتها : دمشق ، وحمص ، وبغداد وغيرها ، وفي شرق الشام : العراق
وايران والتركستان ، وفي جنوب الشام : جزيرة العرب . ولا يستغرب اذا كان
الادريسي لا يعرف آسيا الشرقية والشمالية معرفة جيدة فالقليل الذي كان يعرفه
منها له قيمة كبيرة عندنا اليوم . والادريسي وان لم يكن يجيد معرفة اوربا

الشمالية الا انه كان يعرف أوروبا الغربية وافريقية معرفة تامة . وكان يعرف ان النيل ينبع من الحياض الكبيرة في أواسط افريقية - وكان يعرف اكثر مما كان يعرفه الغرب قبل اليوم بمئة سنة لأن الغرب لم يكتشف منابع النيل الا في العصر الماضي ، ومن هذه الناييع يجري النهر الآخر العظيم الى الغرب ، وكان يعرفه العالم العربي الادريسي قبل أوروبا بسبعائة سنة .

وظهرت اليوم مسألة مهمة بالنسبة للعلم الحديث وهي اثبات ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات الجغرافية في خرائطنا العصرية للعالم المتمدن القديم . وذلك بأن ترسم خريطة تاريخية للعالم القديم على حسب ما كان يعرفه الادريسي من المعلومات اي بتقدير المسافات وتعيين حدود الأراضي والسواحل والبحار والجبال والأنهار على غابة الاثقان . ويتأتى حينئذ لكل راغب أن يرى رأي العين اكل خريطة تاريخية للعالم القديم على النحو الذي كان يعرفها العالم العربي في عصره .

ولبيان ان حل مثل هذه المسألة ممكن سهل ، آتى بشاهد من وطننا فنلاند في أقاصي الشمال البعيدة ، وان ضفت خريطة الادريسي الكرم بمعرفة شيء عن بلادنا . وذلك ان الأخوين المعروفين من بيت العلم الشهير: احدهما تال غرين - توليو والثاني آ.م. تال غرين قد تمكنا من تعيين مكان واهمية كل ما أتى به الادريسي في خريطته من المعلومات القليلة ، ورسمها في خريطة فنلاند العصرية بغاية الاثقان . ثم نشرت رسالة صغيرة ذات أربع وخمسين ومئة صفحة في البحث العلمي المهم باسم *Studia Orientalia III. Idrisi: La Finlande et les autres pays Baltiques orientaux* ولها لواحق عديدة ذات مكانة جديدة .

أما الأفطار التي كان يعرفها الادريسي معرفة جيدة فان أهل العلم الحديث اتوا فيها بخدمات علمية جلييلة ونشروها وما زالوا يفشرونها . وهي ، على ما نظن ، معلومة لديكم .

مخطوطات ومطبوعات

انباء الغمر بأبناء العمر

من نفائس مخطوطات المدرسة العثمانية بحلب (انباء الغمر بأبناء العمر) للحافظ الامام الشيخ احمد بن علي بن حجر العسقلاني . وهو في مجلدين ضخمين الأول في ٤٤٤ صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً يبتدىء من سنة ٧٧٣ وهي تاريخ ولادة الحافظ ابن حجر وينتهي في سنة ٨١١

والمجلد الثاني في ٤٠٤ اربع واربعائة صفحة كل صفحة ٢٩ سطراً يبتدىء فيه من سنة ٨١٢ الى سنة ٨٥٢ الى السنة التي توفي فيها المؤلف . والنسخة مقروءة مع شيء من الصعوبة وعلى حواشيتها هوامش كثيرة منقولة من تاريخ البدر العيني الا ان كاتب الحواشي هو غير كاتب الأصل ، وكتب على ظاهر المجلد الثاني مانصه :
هذه النسخة بخط سبط المؤلف

والمؤلف يذكر حوادث كل سنة في مصر وغيرها ويعقب ذلك بذكر من توفي فيها من الاعيان ، الا ان معظم الحوادث التي فيه هي مما كان في مصر . وآخر ترجمة فيه ترجمة ابراهيم بن رضوان الشيخ برهان الدين الحلبي . وبعدها مانصه : هذا آخر ما وجد من تاريخ الشيخ الامام الحافظ القاضي شهاب الدين ابي الفضل احمد ابن حجر الشافعي .

قال في كشف الظنون : اول هذا الكتاب الحمد لله الباقي وكل شيء يفي الخ ذكر فيه انه جمع الحوادث التي ادر كها منذ ولد سنة ٧٧٣ وأورد في كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان مستوفياً لرواة الحديث . وغالب ما نقله من تاريخ ناصر الدين ابن الفرات وصارم الدين بن دقاق والمقرئزي والتقي القاسمي والصلاح خليل الأقفهسي والبدر العيني وأورد ما شاهده ايضاً . قال وهذا الكتاب يحسن من حيث

الحوادث ان يكون ذيلاً على تاريخ الحافظ ابن كثير^(١) فانه انتهى في ذيل تاريخه الى هذه السنة ومن حيث الوفيات ان يكون ذيلاً على وفيات نبي الدين بن رافع وانتهى فيه الى سنة ٨٥٠

واذكر اني رأيت مسودة المؤلف في المكتبة الظاهرية بدمشق وفيها تشطيب وحواش وتكاد لا تقرأ لرداءة خط المؤلف رحمه الله تعالى

ويوجد من هذا التاريخ نسختان في مكتبة كوبريلي زاده محمد باشا في الآستانة الأولى في مجلدين رقمها ١٠٠٥ - ١٠٠٦ والثانية في مجلدين أيضاً رقمها ١٠٠٧ - ١٠٠٨ ولا ريب ان الكتاب جدير بالطبع لأن به تتصل سلسلة الحوادث التي وقعت في هذه السنين ونقف على من توفي فيها بصورة مفصلة .

ولا ريب ان بالبحث يوجد منه نسخ غير التي ذكرناها وانا نرجو ممن يقف على نسخ منه ان يكتب لمجلة المجمع لعل ذلك يكون سبباً لنشر هذا السفر النفيس فتم الاستفادة منه عشاق الأدب والتاريخ والعلم

حلب: محمد رغب الطباخ

« الإجازة » ، لدمرد ما استدر كنه عائشة على الصحابة

(تأليف الامام بدر الدين الزركشي)

عني بتحقيقه ، ووضع مقدمته ، وتعليقه وفهارسه سعيد الأفغاني .

طبع المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٥٨ هـ سنة ١٩٣٩ م .

أحسن الاستاذ الأفغاني كل الإحسان باستخراجه هذه الرسالة النفيسة من كنوز المكتبة الظاهرية ، وإحيائها بالطبع والنشر ، فان ام المؤمنين عائشة (رض)

(١) هذا التاريخ طبع في مصر ومنه نسخة خطية في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب في عشر مجلدات وقد نقل منها بواسطتنا لثلاثة خمس مجلدات ويظهر أنه وجد بعد ذلك نسخة أخرى في مصر فاستغنى عن استنساخ الباقي

هي احدى المعجزات الخالدة في بيان مشكلات التفسير والحديث والفتاوى والأحكام .
ومسندها في (ج ٦) من مسند احمد بن محمد بن حنبل يقع في (٢٥٣) صفحة .
وعلى علمها وفهمها المعول فيما كان يقع فيه التنازع بين كبار الصحابة (رض) في
النوازل والأحكام ، لا سيما في معرفة ما كان يفعله الرسول (ص) في بيته .
و « الاجابة » توقف المطالع على سر عظمة هذه السيدة ، وعلو مكانتها ، وهي في
الأصل مائة صفحة الا قليلا ؛ ولكن الاستاذ الناشر بما قدم لها ، وعلق عليها ، ووضع
من فهارس في آخرها ، أبلغها الى (٢٣٠) صفحة بالقطع المتوسط .

وقد رتب الإمام الزركشي كتابه على مقدمة وثلاثة أبواب (الباب الأول)
في ترجمة عائشة وفيه فصلان (١) في ذكر شي من حالها و (٢) في خصائصها وضيائها ،
وقد عدت منها (٤٢) واحدة (الباب الثاني) في استدراكاتها على أعلام الصحابة ، وفيه
استدراكات على (٢٤) صحابياً وصحابية في مسائل كثيرة من التفسير والحديث
والعبادات والمعاملات (الباب الثالث) في الاستدراكات العامة ، وفيه (١١) استدراكاً
وفي ذيله أربعة آخر .

وأما الاستاذ الأفغاني فقد صدر الكتاب بمقدمة في نحو ثلاثين صفحة ، تضمنت
وصف « الاجابة » وسعة علم عائشة ، وترجمة المؤلف ، وعدد تأليفه ، وشيئاً عنها ،
ووصف النسخة الظاهرية الفريدة التي ظفريها ، وما لقي في سبيل تصحيحها وإخراجها ،
وعرض نماذج منها مأخوذة بالتصوير الشمسي . وقد علق على هذا الكتاب تعليقات
دلت على بذل جهد ، واستنفاد طاقة ووسع ، فقد راجع لأجله عشرات المظان من
دواوين السنة وشروحها ، ومعاجم الحديث الخطية كمعجم الطبراني الكبير ، وكتب
الرجال والطبقات ، فجاءت تعليقاته وافية بالقصد ، ثم ختم الكتاب بفهارس خمسة
مفصلة (١) للأعلام (٢) للجماعات (٣) للأماكن (٤) للكتب (٥) للموضوعات وفي
الصفحة الأخيرة تصحيح للأغلاط ، ونحن نشير الى الاغلاط القليلة التي لم نرها
مصححة ، وقل أن يتألو من مثلها كتاب :

ص ٥ س ٧ : وعروة وابن الزبير ، والصواب : وعروة بن الزبير وفي ص ٥ في التعليق : انظر مسند احمد ج ٦ ص ٩ : ليس في هذه الصفحة ما أشار اليه ، ولكن في غيرها ما يدل عليه .

الصواب	الخطأ
ص ٢٠ س ٢٠	فما زلت ارجع إلا الأمهات
إلى الأمهات	
عنها	وروي عيها ٦
ابن ماجه ، بالهاء الساكنة وصلا	ابن ماجه ١١
ووفقاً ، فراجع في فهرس الأعلام	
وتصحح ، والغلط من قلم الناسخ ،	
لا الناشر .	
٧٢	١٣ ادخل البيت الذي دفن معها عمر : دفن فيه معها عمر .
٧٣	١٣ اعلى الدلاء من اسفله : من اسفلها
٧٤	١٨ فوق بعضها : بعضها فوق بعض
١٠٩	١٠ عن وتر رسول : رسول الله .
١٢٠	١٨ من مسند أبي داوود : داود : بواو واحدة ، وتراجع في فهرس الأعلام للتصحيح

ولما وصف الأستاذ الأفغاني مؤلفات الزركشي قال عن (لقطه العجلان) منها : وقد طبع في دمشق مؤخراً » (أي سنة ١٣٥٣ هـ سنة ١٩٣٤ م) والصواب أن هذا الكتاب — الباحث في أصول الفقه والحكمة والمنطق والتوحيد — قد طبع أولاً في مصر بمطبعة والده عباس (سنة ١٣٢٧ هـ سنة ١٩٠٨ م بشرح الإمام جمال الدين القاسمي ، ومن غرائب اتفاق القدر أنا قرأناه بشرح أستاذنا القاسمي عليه عام وفاته (سنة ١٣٣٢) فكانت عمر المؤلف والشارح واحداً ، وهو تسعة واربعون عاماً ، رحمها الله تعالى . وقد طبع شرح القاضي زكريا على لقطه العجلان ايضاً ، وطبع

شرح الزركشي على جمع الجوامع في (اصول الفقه) للسبكي بمصر سنة ١٣٣٢ هـ .
وبعد فقد وجه الاستاذ الأفغاني في مقدمته أنظار نساء العصر الى علم عائشة
(رض) فقال في (ص ٦) : ولتعلم بعد هذا سيداتنا أن امرأة منهم في صدر الاسلام
تتخذ عليها مشيخة المهاجرين والأُنصار من كل حبر وعالم وفقه وقارىء وراويۃ ، وعنهما
وحدهما نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرك »

واقول : ان الفتيات في عصرنا يحملن الشهادات الابتدائية والثانوية ، ومنهن
من نالت الشهادة العالية في العلوم أو الأدب أو الحقوق أو الطب ، أو شهادة التخصص
(الدكتوراه) بالفلسفة والتربية ، ولكننا لا نرى إزاء هذه الشهادات المدنية فتاة
تحمل شهادة ابتدائية في الدين ، دع المتوسطة والعالية ! فان قيل : وأين لتخصص
الفتاة الحاملة لشهادة (البكالوريا) أو الحقوق مثلاً في العلوم الدينية ؟ فالجواب من وجهين :
(١) يجب أن نطالب الحكومة بافتتاح فرع التخصص الديني الذي كانت اعتزمت
انشاء وجعله فرعاً للجامعة السورية ، ونفقاته قليلة ، وفوائده جزيلة .

(٢) ان الأزهري الشريف قد افتتح كليات التخصص الديني وجعلها لأبناء
المسلمين عامة ، لا للمصريين خاصة ، فن السهل على بناتنا من حاملات البكالوريا ،
ولا سيما المجازات بالحقوق أن يصبحن بعض ذوي المحارم ، وينهلن من معين الشريعة
الصافي ، ويعدن رافعات ألوية الدين والعلم والإصلاح .

محمد بهجة البيطار

نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر

مطبعة الفنون المصورة [٨٦ من القسم العربي مع الذيل والقهارس و ٥٧ من الترجمة الاسبانية
بوسكا • الترائش (المغرب) ١٩٢٠

ما تزال نكبة الأندلس ونزوح العرب عنها النزوح المعروف أمره درساً ماثلاً
في نفس كل عربي يثير فيها العبرة والدعوة معاً .

ولعل اغرب ما في هذا الدرس تلك القوارق العظمى بين معاملة العرب للاسبان
حين دخلوا بلادهم فاتحين ومعاملة الاسبان للعرب حين جلوا عنها نازحين .

وهذا كتاب لمؤلف مجهول حضر الوقائع الأخيرة بين العرب والاسبان
وشاهد عن كذب ما صب على رؤوس المسلمين من البلاء من تقتيل وتعذيب ونهب
اموال وسبي نساء وذرازي ، واجلاء عن الاوطان واستباحة الحرمات المعابد
والأديان ، ثم تفنن في استئصال البقية الباقية من شيوخ لا حول لهم على مشاق السفر
وأطفال وأرامل أقعدهم الضعف ^(١) ، فكل يوم احالات بالمئات على محاكم التفتيش
وكل يوم احراق وصلب وتعذيب في الساحات العامة حتى سئم الاسبان أنفسهم
هذه المجازر البشرية التي راجت سوقها والتي أحرزت بها حكومة الاسبان حينئذ
قصب السبق في الوحشية والقسوة والظلم .

واليك كلمة المؤلف نفسه عن موضوع كتابه وخطته فيه قال : « اما بعد فهذا
كتاب اذكر فيه نبذة من بعض تواريخ ما وقع في مدة الأمير أبي الحسن علي بن
نصر ٠٠٠ ابن الملوك النصرين ، ومدة ملك ابنه محمد وأخيه محمد أيضاً رحمهما الله ،
وكيف استولى العدو على جميع بلاد الأندلس في تلك المدة . وعولت في ذلك
على الاختصار وتركت التطويل والاكتثار » ^(٢)

تجد في هذا الكتاب تفصيل حصار مدينة الحمة وموقعة لوشة وانتصار المسلمين وفرار ابني الأمير وتآلب أهل وادي آش وغرناطة معها وموقعة بلش وموقعة اللسانة واستيلاء النصارى على حصن قرطمة ودكوين والزندة وموقعة المكين ، واستيلاء النصارى على حصن قبيل ولوشة والبيرة — وحصار مدينة مالقة والبسطة وحصن الشوابانية ثم حصار غرناطة وتسليمها .

وفي خلال ذلك تشاهد من ضروب البطولة التي أبداهها العرب على قتلهم ما ميزهم من جميع الأمم ولكن أمرهم كان الى إدبار . وأشد ما يفجعك هو خروج الخارجين على الأمراء وانقسام هؤلاء العرب القليلين بعضهم على بعض ، واستعانتهم بعدوهم على قومهم وأهل ملتهم حتى اذا انتهت الى آخر الكتاب لم تملك دمعك حين ترى آخر ملوك غرناطة يستعين بملك قشتالة على عمه وحين تشعر بحبث ملك قشتالة وروغانه وضربه أحدهما بالآخر حتى أضعف الأميرين معاً وذهبت القتلى من حزيهما بالآلاف فكان ذلك اكبر العون في سقوط غرناطة آخر بلدة مسلمة في يد الإسبان .

وفي آخر الكتاب فصل قيم الفائدة في (تزوح مسلمي الأندلس الى المغرب) وبيان المواطن التي حلها أهل كل بلد من الأندلس في المغرب . وتحس في عدة مواضع من الكتاب أن مؤلفه كتبه وهو يتحرق من الألم والتفجع وتجزم حين تقرأه أن قلبه يكاد يتفطر من لوعته وأن عبرته ما ترقأ ، اسمعه وقد صور لنا غدر ملك قشتالة بعد ان عاهد المسلمين المستضعفين وسلم لهم بكل شروطهم كيف « اخذ في نقض الشروط شرطاً شرطاً وبجلها فصلاً فصلاً الى أن نقض جميعها وزالت حرمة الإسلام عن المسلمين وأدر كهم الهوان والذلة ... ثم دعاهم الى التنصر واكرههم عليه فدخلوا في دينه كرها وصارت الاندلس كلها نصرانية ولم يبق من يقول فيها : (لا إله الا الله محمد رسول الله) جهرآ ... وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان وفي مساجدها الصور والصليان بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن !

فكم فيها من عين باكية وقلب حزين وكم فيها من الضعفاء والمعدمين لم يقدرُوا على الهجرة واللاحق بإخوانهم المسلمين ! قلوبهم تشتعل ودموعهم تسيل سيلاً غزيراً مدراراً وينظرون اولادهم وبناتهم يعبدون الصليبان ويسجدون للأوثان ويأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر ٠٠٠ فيألفها من فجعة ما أمرها ومصيبة ما أعظمها واضرها وطامة ما أكبرها ٠٠٠ وعم الكفر جميع القرى والبلدان وانطقاً من الاندلس نور الإسلام والايان ، فعلى هذا فليبك الباكون وليفتحب المنتحبون فإن الله وإنا اليه راجعون^(١)

نشر هذا الكتاب الأستاذ الفريد البستاني من عدة مخطوطات وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهرسه وهو من منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للابحاث العربية الاسبانية بطنجة (المغرب) وتقرأ في مقدمة النشر كيف حصل على هذه المخطوطة التي اعتمدها والتي كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة .

هذا ولست أقر الناشر في حكمه على بيان المؤلف بقوله : «أما من حيث اللغة فالاضطراب ظاهر في جميع النواحي»^(٢) ففي هذا الحكم مبالغة شديدة لأن المفوات اللغوية من استعماله ضمير العقلاء لغيرهم كقوله (وهدمهم [يعني الأبراج] ص ٣٤) وحذفه نون الأفعال الخمسة من غير أن تسبق بناصب أو جازم كما سنشير اليه، هذه المفوات قليلة ولعلها من تحريف النساخ .

ومن الواجب علينا ان نعترف بأن الفهارس التي نشرها الاستاذ البستاني في آخر الكتاب قليلة الجدوى لأنها غير مرتبة على الحروف بل وضعت هكذا اعتباطاً على غير قاعدة واذا لم يراع في الفهارس ترتيب ما فمنا ندري ما وجه إثباتها . وهناك حاشية معادة (ص ٢٣٦) وخطأ في قراءة المخطوطة كما سيأتي . وفي الكتاب أغلاط كثيرة كان على الناشر الفاضل أن يعرضه على أخبر منه في العربية ليتداركها له ونحن مشيرون الى اهمها :

فمنها ما يعود الى الرسم كهذه الكلمات :

تحي وصوابها تحيا — دعى وصوابها دعا — الاستأذان وصوابها الاستئذان
فتفقنا وصوابها فاتفقنا مؤرخي : مؤرخي — ١ المبدي : المبدي — المنشي : المنشي
٢ علي ابن سعد : علي بن سعد — ٦ عن من : عن — ٣٥ أولئك : أولئك ٤٤ سبي
نسائهم : سبي نساءهم — ٥٩ بنوا عبيد : بنو عبيد بنو مندبل : بنو مندبل
ومنها ما يعود الى ضعف في عربية الناشر وخطئه في قراءة المخطوطة وعدم
اهتمامه الى تحريف النساخ والاشارة الى الصواب فيه :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
٢ حدوث	حروب	٢٩ مدافاً	مدافعا
٥ اثبتها	اثبتها	٣٦ فارتحل	ارتحل
الانتقاض	الانتقاض	٤٠ المسلمون	المسلمين
٧ يأمرهم	يأمرهم	٤٤ والمعدومين	والمعدمين
بل والدنو	بل الدنو	٤٦ زمامتهم	ذمامتهم
٨ يعلموم	يعلمونهم	٤٧ ان يعينونه	أن يعينوه
٢٤ نفد	نفد	٤٧ ثلاثة سنين	ثلاث سنين

٢٦ وقتل منه خلقاً : وقتل معه خلق ٧٧ ليعاقبونهم ليعاقبوم

وهناك نقص وابهام في بعض الجمل فقوله ص ٨ (نعدل الحيلة في الدخول
عليهم والتقصير والتفريط) فيه نقص لم ينتبه اليه الناشر وقوله ص ٢٧ (ولم يتركوا
شيئاً الا سقف المدينة خاصة) وص ٤١ (اضمروا عليه الا عفوم من حينهم) مما
لا يفهم في الجملتين تشويه كان على الناشر أن يجتهد في ازالته ليتضح معنى المؤلف .
وهذه المآخذ كثيرة في هذه الرسالة الصغيرة التي لا تتجاوز ٤٨ صفحة .

وهذا بعض ما رأينا في مقدمته هو من اغلاط عدا التي مرت في اغلاط
الرسم بالرقم الفرنجي :

خطأ	صواب	خطأ	صواب
3 فهمهم جلال المكان	فهابوا جلال المكان	الأمتين التي	13 الامتين اللتين
8 الخضيل	الخضل	عدا عن الأغلاط	17 عدا الأغلاط
11 سوريا	سورية	لوحده العصمة	19 له وحده العصمة
12 يغفرون	يفارون		

وقوله ص 11 : (بينما كان العراق بفرس وسوريا تترك ومصر تتطور بتأثيرهم وتتاثر بتطورهم) غير صحيح ولو قال كاد بدل كان لكان لذلك وجه .
ولا تخلو لغته من رككة ككتابع الإضافات في قوله ص 7 « من تاريخ مراحل آخر ايام مجدك » وكقوله ص 11 : « بدرجات سلم المقاييس الأدبية الموهونة بجماعة مزاج أعصاب الفاتحين »

ومع أملنا الوطيد في أن الاستاذ البستاني سيأخذ نصيحتنا المخلصة أخذ الغيور على لغته ليس يسمعنا الا أن نثني على عاطفته العربية الحارة التي أشعرتنا بها في أول الكتاب وان نتمنى على الله أن يوفقه في نشر تحفنا الضائعة وأن نعود ففشكره في هذه المحلة ثانية وثالثة ان شاء الله ^(١)

سعيد الأفغاني

(١) في آخر القسم العربي من الكتاب رسالة بث بها عبد الله محمد بن نصير سلطان غرناطة إلى الدون خوان اثناني سلطان قشتاله وليون بتاريخ • من ذي القعدة عام ٨٢٦ هـ مع صورتها الفتوغرافية وهي بأسلوب غريب .

تاريخ حمص - القسم الأول - للخوري عيسى اسعد

عدد صفحاته ٢٢٧ ويحتوي على ٣٢ صورة ، طبع في حمص

عام ١٩٣٩

شاء المؤلف ان يضيف الى سلسلة تاريخ سورية حلقة جديدة جمع فيها أخبار حمص منذ نشأتها الأولى حتى الفتح الاسلامي ، ومن يطالع هذا الكتاب يدرك الجهود التي بذلها المؤلف حتى جمع أخبارها ووفق لاستنتاج حوادثها لا سيما في اقدم عصورها . يستدل من عنوان الكتاب بأن المؤلف قد اقتصر على تاريخ حمص والحقيقة قد تعداه الى بعض أخبار الديار الشامية ومن بسط سلطانه عليها من الأمم المجاورة وذلك تعمياً للفائدة وتنويراً للحقيقة .

يتجلى في ابحاث هذا الكتاب عطف المؤلف على مدينته حمص وعصبيتها لها فأحب أن يبرها ويحمل لها تاريخاً عربياً بالقدم يتفق مع ما يريه لها من المكانة التاريخية فقدمها على سواها من امهات المدن مثل قدش وقطنا وتونانات وغيرها من البلدان التي رددتها الوثائق التاريخية وقد اختار لها اسم (صوبا) الوارد ذكرها بالثورة مع ان هذا اسم مقاطعة لا اسم بلدة واليهما نسبت (حماة صوبا) و (ارام صوبا) كما نقول اليوم دمشق الشام وطرابلس الشام . واما استدلاله عن نشأتها الأولى بموقعها الجغرافي وازدهارها الزراعي فحجته فيه ضعيفة . وكل ما يمكن قوله اليوم - ان سلحنا بقدم حمص - انها كانت قرية نكرة لا حول لها ولا قوة والالما اغفل اسمها واعطى حقها في العصور المتقدمة . وما نعلم ان حمص بدأت شهرتها في العهد السلوقي حينما ازدهرت في ظل امرة سمسيفرام العربية فتبوءت حينئذ مكانتها في تاريخ سورية .

انساب الأشراف للبلاذري

أخذت الجامعة العربية في القدس تنشر كتاب انساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان المتوفى سنة ٢٧٩ وذلك عن النسخة الوحيدة المحفوظة في إحدى دور كتب الاستانة . « وانساب الأشراف هذا يشتمل على تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم الى القرن العباسي الأول ولكنه لم يرتب على سني الهجرة بل اتبع ترتيبه أنساب قبائل العرب . فاذا عرض ذكر رجل نابه في قومه أتى بخبره ونكته المستجادة وما قيل فيه من الشعر او بطائفة من شعره ان كان شاعراً واذا جاء ذكر خليفة من الخلفاء لم يقتصر على وصف سيرته بل أحيط بمجاذب وقته » .

وقد تولى تصحيح الجزء الرابع من الكتاب الاستاذ غويثاين فجاء الأصل في ٣٧٩ صفحة عدا الفهارس والتعليق التي جعلت بالعربية والعبرية والانكليزية وتولى تصحيح القسم الثاني من الجزء الرابع الاستاذ شلوسنجر فجاء في ١٧٠ صفحة عدا الفهارس والتعليق وهي أيضاً بالعربية والعبرية والانكليزية . وقد بذل الناشران عناية فائقة في تصحيح المتن فاستحقت ثناء العلماء على عملهما المشكور واستحققت الجامعة الشكر الجزيل على احيائها هذا الكتاب الأثمن من كتب التاريخ بهذا الاتقان والطبع والوضع .

وقد وقعت للأستاذين الناشرين بعض هنات نرى أن نلفت نظرهما الى بعضها ومنها في الجزء الخامس صفحة ٩٧ خ 'مَرَجَتْ أماناتهم - ص مَرَجَتْ أماناتهم ص ١٧٤ . اهل المعادن - اهل المعاود ٢٠٦ : وذرية الرواح - وذريثة الرواح . وأشياء من هذا القبيل وأكثرها مما يقتدر . اما في القسم الثاني من الجزء الرابع فقد وقع فيه هنات في الاملاء والرسم قليلة وأشياء مثل ص ٨٦ : أ كولا : أ كولا .

١٢١ : وناديتهم أهل بلدكم — ناوأتم ١٣٦٠ : سخيًا لسينًا — لسنًا ص ٣ بالقسر قذونة :
بالخذقدونة ويقال خلقدونة وهو الثغر الذي منه المصيصة وطرسوس واذنة وعين زربة
ويقال لها الغذقدونة أيضًا كما في معجم البلدان لياقوت

وهذان البيتان اللذان نسبا زوراً لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية وفيهما ورد اسم
الخذقدونة مما وضعه عليه المخرفون عن بني أمية : والبيتان

وما أبالي بما لاقت جموعهم بالخذقدونة من حمى ومن موم

إذا اتكأت على الأنماط مرتفقًا بدير صران عندي ام كلثوم

وقد وردا في البلاذري مقلوبين أي الأول ثانيًا والثاني أولًا

وكذلك يقال فيها أورده له البلاذري في الصفحة الأولى من أبيات ادعى
الراوون أن يزيد قالها لامراته أم خالد ما إخالها تصدر عن أعظم الخلعاء فكيف
عن خليفة أعداؤه أكثر من أوليائه والعهد بالدين قريب والصحابة والتابعون
بالمرصاد يرجعون إلى الدين كل من ضل عن الجادة . وقد وقعت للبلاذري
أشياء نقلها عن رواة غير ثقات يقصد بها التهريج وإرضاء بني العباس وبني علي ولو
صح واحد من عشرة مما اتهم به يزيد بن معاوية لسارع أهله قبل كل الناس إلى
قتله . والبلاذري منحرف عن بني أمية مثل الواقدي وأبي مخنف ساءهم الله .

محمد كرد علي

ليالي الملاح التائه

للاستاذ علي محمود طه : شركة فن الطباعة بمصر ، صفحاته ١٤٩

ديوان شعر لطيف الحجم صقيل الورق وجميل الطبع والتصوير ، يدل على تقدم فن الطباعة بمصر وهو يشتمل على سبع وعشرين قصيدة ، قوية الشعور ، معلقة الخيال مع سبك عربي الاسلوب ونزعة الى التفنن والتجديد

عبقر

للاستاذ شفيق المألوف ، صفحاته ١١٢

ويدل هذا الديوان أيضاً على تقدم فن الطباعة العربية تقدماً لا تحسد معه الطباعة الغربية على أبداعها ، وشعر الأستاذ شفيق رقيق التعبير ، يشبه الموشحات بافئانه ، وتزينه صور فنية للمصور الايطالي فرنكو شيني ، فالديوان على ذلك من طرف الفن بتعبيره وتصويره .



آراء وانباء

دار الكتب الوطنية في حلب

حدث خلال توقف مجلة المجمع العلمي العربي عن الصدور ، حادث يرتاح لذكره
جمهرة المثقفين في الديار الشامية . وهو انه ما كاد الامير مصطفى الشهابي أحد اعضاء
مجمعنا ينقلد في اوائل السنة ١٩٣٧ منصب محافظ مقاطعة حلب ، حتى جعل في مقدمة
اعماله تشييد بناء عظيم يتخذ داراً للكتب وغرفاً للمطالعة وردة للمحاضرات .
ومن المعروف ان مدينة الشهاب كانت حتى ذلك اليوم خالية من بناء يحاكي المدرسة
العادية او الظاهرية او مدرج الجامعة السورية في دمشق ، وان فرع المجمع
العلمي في حلب لم يكن له بناء للاجتماع والمحاضرة وحفظ الكتب والمطالعة .
وعندما راجع الأمير الشهابي مجلس الوزراء في هذا الصدد ، وجد أن تدارك
المال من ميزانية الدولة ، لتشيد البناء المذكور ، يكاد يكون من مستحيلات
الأمر . فعمد عندئذ الى خطة لا ينازع في تنفيذها منازع . وهي انه لما كانت
بلدية مدينة حلب وبلديات الأفضية والنواحي في تلك المقاطعة تابعة جميعاً للمحافظ ،
أصدر قراراً بأن تخصص كل بلدية تابعة لمحافظة حلب عشر وارداتها لتنفق على
إقامة دار الكتب في مدة سنتين . وقد أصاب بلدية مدينة الشهاب نصف النفقات .
وكان النصف الثاني من نصيب بلديات الأفضية والنواحي . وهكذا أمكن جمع
خمسین الف ليرة سورية (بسعر تلك الأيام) وهو المبلغ الذي اجمع المهندسون على
انه كاف لإقامة البناء .

وبعد ان سهل المال وجب الحصول على أرض تصلح للغرض المطلوب . وهنا
تذكر الامير الشهابي انه عندما كان مديراً لأُملاك الدولة السورية خصص لمديرية
البريد والبرق العامة أرضاً واسعة ثينة تقع في احدى بقعة من المدينة اي في ساحة

باب الفرج ، لكي تبني المديرية المذكورة عليها بناء لدائرة البريد والبرق في حلب .
وتذكر انه مرّ على هذا التخصيص بضع سنوات دون ان يشاد البناء المطلوب على
تلك الأرض ، وانه ربما مرّت سنوات عديدة أخرى والأرض باقية على حالها .
ولذلك سعى في مجلس الوزراء حتى ابطال ذلك التخصيص وحوله على اسم وزارة المعارف
لتبني دار الكتب الوطنية على الارض المذكورة .

فأصبح هذا المشروع المفيد مشتركا بين بلديات محافظة حلب صاحبة المال المنفق على
البناء ، ووزارة المعارف (او المجمع العلمي) التي تنصرف بأرض البناء العائدة لبيت المال .
ولهذا عقد الأمير بين الفريقين اتفاقا يقضي بأنه عند ما يتم البناء يسجل في
السجلات العقارية على اسم بلديات محافظة حلب ، ويخصص لفرع المجمع العلمي في
مدينة الشهباء ، فينقل اليه خزائنه كتبه ، ويشرف على شؤونه ، ويمارس أعماله فيه
كما هي الحال في العادلية والظاهرية بدمشق .

وبعد ان مهد صاحب المشروع جميع العقبات ، حمل دائرة الاشغال العامة في
حلب على مباشرة هذا العمل الجليل ترجيحاً على سائر اعمال تلك الدائرة . وقضى
سنتين وبضعة أشهر وهو يشرف شخصياً على صنع الخرائط والتصميمات وعلى أعمال
البناء . ولم يغادر منصبه في السنة ١٩٣٩ حتى كان البناء قد تم ، ولم يبق سوى
الأعمال التكميلية فأكملت بعدئذ على حسب الخرائط والخطط المقررة .

وعلى هذا أصبحت الشهباء تشتمل اليوم في أجل مواقعها على بناء عربي نغم شديد
بأحجار كبيرة لا يقل طول واحدتها عن ٤٥ سنتيمتراً . وكثير من هذه الأحجار
حمر رخامية من التي تسمى « سمافية » في حلب و « مزية » في دمشق . ويقول العارفون
ان دارالكتب الوطنية في حلب هي اليوم أجل المصانع الحديثة في مدينة الشهباء بلا مرأى .
وقد جعلت الطبقة الأرضية من البناء مدرجاً للمحاضرات يتسع لخمسائة
مستمع ، كما جعلت الطبقة العليا غرفاً تتسع لأربعين الف مجلد ولمائة مطالع ،
عدا غرف الإدارة .

ذكرى المولد النبوي

يحتفل المسلمون كل عام بذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام احتفالاً رائعاً ، وأي ذكرى أحق من هذه العناية وليست هذه العناية بالمولد قديمة .
ولم يرو عن الصحابة والتابعين ، وأول ما نقل الينا أن الخيزران والدة هارون الرشيد اصلحت البيت الذي ولد فيه رسول الله . أما الاحتفال بذكرى المولد نفسها فلم يظهر الا في عصر الفاطميين الذين عدوا يوم الذكرى عيداً لدولتهم تقام فيه الزينة وتلقى الخطب والمواظ .

ولم يجعل أهل السنة لهذا اليوم شأنًا خاصاً الا منذ عام أربع وستائة فقد بالغوا في هذا العام لأول مرة بالاحتفال بهذا اليوم وزينت إربل عاصمة الملك مظفر الدين كولاكبري صهر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وانقذت الأنوار الساطعة ، وقرعت الطبول والموسيقى وأشدّ المنشدوت وظهر الملك المظفر صباح يوم الذكرى على برج مشيد من خشب وانتصب واعظ علي منبر بجانبه يعظ الناس .

وظفق المسلمون من أهل السنة من ذاك اليوم يتخذون يوم المولد عيداً دينياً شعبياً . ولما ظهر الاحتفال بهذا المظهر ، أجمع الفقهاء على القول بأن الاحتفال وإن كان بدعة فانما هو بدعة حسنة لاتصاله بشخصية الرسول المعظم . ثم ما عثم أن مرت الى يوم الذكرى ضروب من المرامم أثارت ثائر بعض الائمة كابن تيمية في المتقدمين والامام محمد عبده في المتأخرين فشنوا الفارة على صورة الاحتفال ووجدوا في الأناشيد التي تزل تزعج من النزعات الصوفية لا يقرها الإسلام الصحيح ووجدوا في النصوص التي تقرأ عن مولد الرسول ابتعاداً عما يجب أن يقال من سيرته الشريفة مما ورد في الأثر واضفرت حملتهم عن توجيه علماء المسلمين الى الاحتفال بالذكرى وجهة حسنة لاتخرج عن هدى الدين وذلك بقراءة شيء من السيرة النبوية المنقولة في الكتب الموثوق بها وبالقاء الخطب يذكر فيها شأن الإسلام وأثر الدعوة المحمدية ويحض الناس فيها على التحلي بالأخلاق النبوية . وكانت الاحتفال بهذا يوماً يبعث في نفوس المسلمين بهجة بعيد يذكرون فيه المثل العليا التي حض عليها رسول الله . وحسنت ذكرى مولد رسول الهدى .

مَجْلَدُ الْعِلْمِ الْعَرَبِيِّ

الجزء الرابع نيسان سنة ١٩٤١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٠

تأليف ابن العديم

كان أجداد ابن العديم قضاةً تسلسل فيهم العلم اجيالاً ، وكان من وراء نعمة عظيمة تجمعت لأهله بطول الزمن . جاء اهله في القرن الثاني من البصرة ونزلوا حلب تجاراً ، وبعد حين اشتغل بعضهم بالعلم فانقلبت تجارتهم ، وبان الأدب والذكاء على كثير من ابنائهم ، حتى اذا كان القرن السابع نبغ آخرهم صاحب المكانة الكبرى في عالم العلم والأدب ، فهو وارث مجد أسرته اعانه الفنى على الظهور بالعلم ففاق الاقران وخلد اسمه في سجل الزمان .

غرست الفطرة في ابن العديم صفات نادرة كانت عوناً له على ما أخذ نفسه به من الدرس ، وعلى تجلي عبقريته وانبعاث قريحته ، هذا مع كثرة العلماء في بلده على عهده . وكان هو مفتناً وفناناً ، مفتناً بالعلم الذي تلقاه عن علماء عصره وبه اعد نفسه لتولي منصب قاضي القضاة في مدينة عظيمة ، فبرز في الفقه والحديث والادب والانشاء والشعر والتاريخ وكل ما تكل به أدوات القاضي والمفتي . وكان فناناً لأنه رزق الاجادة في الخط حتى كان رأساً في الخط المنسوب ولا سيما النسخ والخواشي ، وكان يقرأ الخط المعقد كأنه يقرأ من حفظه ، وقالوا انه اكتب من كل من تقدمه بعد ابن البواب ، وله كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه واقلامه وطروسه . عاش كآغنياء العلماء واخذ العلم عن علماء حلب ودمشق ، ورحل الى الحجاز ومصر

والعراق ، وكان اذا سافر يركب في محفة تشيله بين بغلين ويجلس فيها ويكتب .
 هذا هو كمال الدين عمر العقيلي الحلبي رئيس الشام (٦٦٦ هـ) وكان يطلق على
 امرته اسم بني جرادة ثم غلب على بيتهم اسم « العديم » ، وكان جميع أهل هذا
 البيت منذ كان الاسلام يحفظون الكتاب العزيز . وقد تولى خمسة منهم على التوالي
 منصب قاضي القضاة بحلب ، وكان كمال الدين واسطة عقدهم اشتغل بالسياسة والعلم
 فتولى الوزارة مرتين : الأولى للملك العزيز والثانية للناصر آخر بني ايوب ، وذهب
 بالسفارة عنها الى بغداد والقاهرة . ولا يتولى الوزارات في الغالب إلا الأكفيا ،
 ولا يتوب عن صاحبه في السفارات إلا أرباب الكفاءات المعترف بها .
 ألف كمال الدين وصنف وكتب بخطه الجيد ألوفاً من الصفحات ومن جملة
 ما كتب بخطه البديع ثلاث خزائن من الكتب : واحدة لنفسه وخزانتان لابنيه
 لكل منها خزانة فاذا فرضنا أن كل خزانة تضم مئة مجلد وهو أقل تعديل
 فيكون مجموع ما كتب ثلاثمائة مجلد عدا تأليفه الممتعة التي نمت على تحقيقه وبجته
 ولم نعرف منها سوى ثلاثة .

الأول من كتبه (ومنه نسخة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق) رفع
 الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري أو الانصاف والتجري ، ذكر فيه كل مساله
 اتصال بأصل المعري ومنشئه وأدبه وعلمه وتصانيفه ورحلاته الى بغداد في طلب العلم
 وما وقع له طول حياته من الحوادث ومن كان يعطف عليه من أهله وكلهم
 معروفون بالأدب والشعر ومن كان يستعلي منه مصنفاته ومن يكتب له ليل نهار وكان
 أربعة في جرابته وجارية ، وذكر من أخذ عنه . والمقصود من كل هذا الكتاب تبرئة
 المعري من التعطيل وكان أعداؤه ينحلونه آياتاً او يحرفون آياتاً من شعره ليصححوا
 دعواهم عليه بانحلال العقيدة . واهم جزء من الكتاب (وهو دفع دعوى الإلحاد عن أبي
 العلاء) ناقص من النسخ التي عرفت من الكتاب على أن ذلك لا يمنع من نشره بالطبع
 لما فيه من الفوائد التي أثرت عن شيخ المعرة وحكيمها وأديبها .

والثاني تذكرة ابن العديم وجد منها مجلد ، في بضعة أجزاء أولها الجزء الخامس
وآخرها الجزء السادس عشر وفيها فوائد أدبية وتاريخية كثيرة وهي جديرة بالطبع
أيضاً ، ومما جاء في أولها لمي بن ابراهيم بن عبد المحسن بن قرناص الخزاعي الحموي :

جفني بيجفك قد جفاه مجموعه والقلب واصله عليك ولوعه

وسقام جسمي فيك عن ذهابه والنوم عن علي الجفون رجوعه

ومما جاء فيها : انشدني منجب الدين ابن الامان المذكور قال انشدني القاضي
وجيه الدين ملهف ابن الصنديد الشيزري قال انشدني للأمر شرف الدولة ابن منقذ
نفسه وكانت الزلزلة قد خربت شيزر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وسقطت القلعة
على أخيه وأولاده وزوجته الخاتون اخت شمس الملوك فسلبت دونهم ونبشت من الردم
بجاء نور الدين محمود بن زنكي الى شيزر وأسلمها وطلب من زوجة أخيه أن تعلمه
بالمال وتهدها فقالت له : ان الردم سقط عليها وعليهم ونبشت سالة دونهم ولا تعلم
بشيء وان كان لهم شيء فهو تحت الردم . وكان شرف الدولة غائباً فلما حضر ورأى
شيزر وما حل بها وعان زوجة أخيه بعد العز في ذلك الدل عمل :

ليس الصباح من المساء بأمثل فأقول لليل الطويل ألا انجلي

كثلت بد الأيام ان قسيتها ما أرسلت سهماً فأخطأ مقتلي

لي كل يوم كربه من نكبة يهي لها جفني وقلبي يصطلي

باتاج دولة هاشم بل يا أبا التيجان بل يا قصد كل مؤمل

لوعابت عيناك قلعة شيزر والستر دون نائها لم يسدل

لرأيت حصناً هائل المرأى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل

ومنها يشير الى زوجة أخيه المذكورة

نزلت على رغم الزمان ولوحوت بيناك قائم سيفها لم تنزل

فتبدلت عن كبرها بتواضع وتعوضت من عزها بتذل

وقال في أخيه :

ودُفنت بين ثلاثة ضاجعتهم كالليث ضاجعه ثلاثة أشبل

وكان هذا الزلزال من أشد ما منيت به بلاد الشام في القرون الوسطى هلك فيه كما قال ابن الأثير ما لا يحصى كثرة وخرب منها بالمرة حمص وشيزر وكفر طاب والمرة وأفامية وحمص وحصن الأكراد وعرفة واللاذقية وطرابلس وانطاكية .
وأما كثرة القتلى فيمكنني أن معلماً كان في حماة ذكر عنه أنه فارق المكتب لهم عرض له ، فجاءت الزلزلة فغربت البلد وسقط المكتب على الصبيان جميعهم ، قال المعلم : فلم يأت أحد يسأل عن صبي كان له بالمكتب . أما حصن شيزر وهو على نصف نهار من حماة فكان لآل . منقذ الكنانيين فلم ينج منهم أحد ، وسبب هلاكهم أجمعين أن صاحبها كان قد ختن ولدأ له وعمل دعوة للناس ، واحضر جميع بني منقذ عنده في داره ، وكان له فرس يجبه ولا يكاد يفارقه ، وإذا كان في مجلس أقيم الفرس على بابه ، وكان المهر في ذلك اليوم على باب الدار ، فجاءت الزلزلة فقام الناس ليخرجوا من الدار فرمى الفرس رجلاً كان أولهم فقتله ، وامتنع الناس من الخروج ، فسقطت الدار عليهم كلهم وخربت القلعة وسقط سورها وكل بناء فيها ، ولم ينج منها إلا الشريد .

وكان بنو منقذ اصحاب قلعة شيزر (واليوم يقال لها سيجر) سلسلة جميلة في الشعر والأدب كما كان بنو العديم في حلب سلسلة متصلة الاسانيد بالقضاء . خربت قلعة شيزر والى اليوم لا تزال خراباً يباباً ، وأدب بني منقذ ما زال محفوظاً في الدواوين يتناقله المتأدبون ويعجب به الشادون والمحققون . وكان آخرهم أسامة (٤٨٨ - ٥٨٤ هـ) من أئمة الأدب عرفناه من الكتب التي أبقت الأيام عليها ، ومنها كتاب الاعتبار ذكر فيه آل بيته وشجاعتهم وبطولتهم وما كان لهم على عهد الصليبيين في الشام من مقاصرات ومن كتبه (كتاب العصا) ومنها (لباب الآداب) وكلها مطبوعة تشهد لأسامة بالعلم والتبوغ .

ومما نأثره من مذكرة ابن العديم ما نقله للسابق أبي اليمن محمد بن الخضر المعري في حلب :

حلب معهد الصبا والتصابي فسقاها الوسمي ثم الولي
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بجبها البحري

الى ان قال :

فلديها كل الفنون وفيها ما اشتباه الشرعي والفلسفي
غير أني أرى الاطابب مزرأ وحليف الافلاس عنها قصي

وما اقتنسه آيات لسان صاحب الدعوة الاسماعيلية وهي

لو كنت تعلم كل ما علم الورى طراً لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب أن من يهوى خلاف هواك ليس بعالم
فاستحي ان الحق أصبح ظاهراً عما نقول وأنت شبه النائم
ترجم لسان الملقب براشد الدين صاحب الوفيات فقال انه صاحب قلاع الدعوة
ومقدم الباطنية بالشام واليه تنسب الطائفة السنانية (او النزارية) وهو الذي هدد
صلاح الدين يوسف بقوله

ياذا الذي بقراع السيف هددنا لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده واستيقظت لأسود البر أضعه
اضحى يسد في الأفعى بأصبعه بكفيه ما قد تلاقي منه أضعه
وكتب مرة أخرى :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثنت بيوتك فيها واشمخر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى مغارسها منا وفينا حديدنا

أما الكتاب الثالث الباقي من تأليف ابن العديم فتاريخ زبدة الحلب في تاريخ
حلب (منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية نقلت عن مخطوطة الاستانة) فالظاهر
انه أحسن كتبه ولم يبيضه وفيه كلام على جغرافية بلاد حلب وبحيراتها وجبالها
وتربتها وهوائها ومائها وخراجها وعادياتها ، وذكر فيه مدناً تعد اليوم من كيليكييا
والجزيرة مثل اذنة والكنيسة السوداء وطرسوس وميس والحدث الحمراء وملاطية

وسميساط ورعبان ودلوك الى غير ذلك من الحصون والبلاد . وتكلم على جيجان نهر المصيصة وسيحان نهر اذنة والعاصي نهر انطاكية وحماة والبردان نهر طرسوس . وبذلك عرفنا أن عمل حلب في عهده كان واسعاً جداً اكبر من مملكة من الممالك الصغرى لعمدنا . وفيه فصل من اجل فصول الكتاب فيمن نزل من قبائل العرب باعمال حلب ومن كان قبلهم . ونقل شرط عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أهل قنسرين وهو ثمانية وأربعون درهماً على الغني وأربعة وعشرون على الوسط واثنى عشر على المدقع ، وما اشترطه عليهم للنازل بينهم من المسلمين والا يحدثوا كنيسة الا ما كان في أيديهم ولا يضربوا بالنافوس الا في جوف بيعة ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة ولا يرفعوا صليلاً الا في كنيسة وأن يؤخذ منهم القبلي من الكنائس للمساجد ، وان يقرأوا ضيوف المسلمين ثلاثاً ، وألا يكون الخنازير بين ظهراني المسلمين ، وان ينامحوا المسلمين ولا يغشوم ، ولا يمالئوا عليهم عدواً ، وان يحملوا راجل المسلمين من رستاق الى رستاق ، وألا يلبسوا السلاح ولا يحملوه الى العدو ، ولا يدلوا على عورات المسلمين ، فن وفي وفي المسلمون له ، ومنعوه مما يمنعون به نساءهم وابنائهم ، ومن انتهك شيئاً من ذلك حلّ دمه وماله وسبأ أهله وبرئت النمة منه ، وكتب بذلك كتاباً .

واستفدنا من هذا التاريخ أن حلب كانت من أكثر المدائن شجراً فأفنى شجرها وقوع الخلف بين سيف الدولة بن حمدان وبين الإخشيد أبي بكر محمد بن طفج ، فان الإخشيد كان ينزل على حلب ويحاصرها ويقطع شجرها فاذا أخذها وصعد الى مصر جاء سيف الدولة وفعل بها مثل ذلك . وتكرر ذلك منها حتى فني ما بها من شجر ، وانفق نزول الروم على حلب سنة ٣٥١ ففني شجر الشربين لذلك .

ورأينا له في هذا الكتاب تحقيقات تدل على تأنيه وبعد غوره منها أن ابن القارح ذكر في رسالته حكاية نسبها الى أبي الطيب قال وهذا عجيب فإن أبا الطيب ولد سنة ٣٠١ فكيف تصح هذه الحكاية . قال ابن العديم ولعله غير أبي الطيب ثم بعد حين كتب انه تبين ان الأمر كذلك ، وهذا المتنبي الذي ذكره المؤرخ هو أحمد بن عبد الكريم الأصفهاني .

ويقول ابن الشحنة في تاريخ حلب : أن كمال الدين بن العديم اتقن في تاريخه وإجاد
 وإطال ولم يبيض منه إلا اليسير وإطال فيه من ذكر الروايات والطرف فجاء بمعنى
 قليل في لفظ كثير ولم يسبقه أحد بتاريخ لها على الخصوص وسماه « بغية الطلب في
 تاريخ حلب » رتبته على حروف المعجم كما أخبرني بذلك الأمير النقيب بدر الدين
 الحسيني نقيب السادة الأشراف بالملكة الحلبية رحمه الله أن مسودته كانت تبلغ
 نحو أربعين جزءاً كباراً والمبينة تحبب كذلك لكن اختارته المنية قبل اكمال
 الأمانة وتفرقت أجزاءه قبل الفتنة التيمورية فلا تجد الآن منها إلا نزرًا ولم
 أقف منها إلا على جزء واحد بخطه فيه بعض حرف الميم ...

محمد كرد علي

بَعَثَ قَصِيدَتَيْنِ

من مرقد هما لعديّ بن الرقاع العامليّ

كان صديقنا الاستاذ خليل مردم بك قد نشر في مجلّتنا هذه شعر عديّ بن الرقاع العامليّ مع ترجمة له حسنة (*) ، وباطلاع الاستاذ المستعرب سالم الكرنكويّ عليهما كتب اليه كتاباً يذكر فيه انه كان قد جمع في الماضي ما تيسر له تحصيله من شعر عديّ ، وانه أرسله مع ترجمته المنقولة من تاريخ دمشق الى الاستاذ غويدي لعزم أحد تلاميذه على وضع اطروحة له في عديّ وشعره ، لينقدّم بها الى جامعة رومة في سبيل الحصول على درجة الحكمة (الدكتوربة) في الأدب .

ثم ظفر الاستاذ الكرنكويّ بنسخة غير جيدة من كتاب الخليل لأبي عبيدة معمر بن المثنى منقولة عن نسخة قديمة في المدينة المنورة كتبت سنة ٣٥٢ للهجرة ، وهو اليوم مكبّ على تصحيحه لينشره للناس ، وفي آخره عدة أشعار لقدماء شعرائنا بينها شعران في وصف الخليل لعديّ بن الرقاع ، وكان عديّ كطفيل الغنويّ مشهوراً بعرفة الخليل واجادة نعتها ، وقد بعث العلامة الكرنكويّ بهاتين القصيدتين الفقيديتين لنشرهما في مجلة المجمع العلمي العربيّ فله جزيل الشناء ، وقد شرحتهما شرحاً كافياً لإفادة القراء ، والقصيدتان هما :

قال ابن الرقاع العامليّ ، غلّط فيها بقول أبي دود :

١ ولقد أغتدي بأجرد نهدٍ لاحه بعد صنعه المصارُ

٢ أيدُ القصرين ما قيد يوماً فيعنيّ بصرعه يبطارُ

-
- (*) راجع المجلد الخامس عشر من هذه المجلة تجد (مختارات من شعره) في الصفحة ٦٥٠ .
(١) الصنع ففتح الصاد مصدر صنع القرس يصنعه صنعا وصنعة اذا أحسن القيام عليه .
(٢) القصران : ضلعان تليان الترقوتين ، او اللتان تليان الشاكة بين الجنب والبطن كما في التهذيب ، والصرع الطرح على الارض .

- ٣ حوشب الخلق أفرعت كنفاهُ عن محاني ضلوعه إجمارُ
 ٤ وإذا اهتزَّ مقللاً زانَ منه أتلعُ ما بُنال منه العذارُ
 ٥ ويُرى مُجفراً إذا هو وليّ في حماتيه شدةً وانبتارُ
 ٦ ونسورُ لها حوافر منه لا يرى في أرساغهن انتشارُ
 ٧ كالجلاميد بالمسيل تملاً هن في الماء خضرةً واصفرارُ
 ٨ مشقّ اللحم عن حماتيه مشقاً فتعالى واشتدت الأوتارُ
 ٩ وعلى الزور منبض القلب منه بجيازم بينها أسيارُ
 ١٠ فهو طافه أقب كالمسد الأما سر عاري الشوى مُمرُّ مفارُ
 ١١ شاخص الحرتين بنفخ منه قُطع الرّب مخرّ تثارُ

(٣) الحوشب: العظيم البطن ، الافراع : الارتفاع والانحدار ، والاجار الاستكراثر وانتفاخ الجنبين ويستقيم المعنى إذا اعتبرت (عن) مصحفةً عن (في) . (٥) المجفر : اسم فاعل من الاجفار وهو العظيم الجنبين ، والمانان : العثمانان في عرض الساقين كالمصبتين من ظاهر وباطن والجعم سموات ، والانبثار : الانقطاع . (٦) النسور : الشواخص اللواتي في باطن الحافر . والانتشار : الانتفاخ في العصب للاصاب . (٨) المشق : جذب الشيء ليمتد وبطول ، ومن الفرس المشيق أي الطويل الضامر والأوتار ها أربعة المضلات . (٩) الزور : بفتح الزاي الصدر . (١٠) (طافه) : اسم فاعل من طفا يطفو يقال : طفا الثور الوحشي على الأكم والرمال إذا علاها ، ويقال سرّ الطي يطفو إذا خف واشتد عدوه ، والمعنيان يجوز وصف الجواد بها ، (الأقب) ذو القب وهو دقة الحصر وضور البطن ، و (المسد) الجبل من الليف يمسد أي يمرّ ثله ، وفي الكتاب : في جيدها جبل من مسد . والشوى الاطراف ، والجواد تكون قوائمه طارية من الشر ، و (ممر وممار) اسما مفعول من أسرّ الجبل إذا شد ثقله ، يقال : جبل مفاو القتل وفرس مفار شديد الفاصل .

(١١) الحرمانان : الأذنان ، قال زهير :

تقنوا في حرمتيها للبصير بها . عنق ميين وفي الحدين تسهيلُ

و (قطع الرّب) يقال أصاب الفرس قطعاً يضم القاف وسكون الطاء مع ضمها أي ضيق نفس من الدنو ، والرّبو البهر واقطاع النفس ، وكأنما أراد الشاعر ان سمة منغريه المحموده في الجبل تعني عند ضيق النفس إذا عدا .

١٢ وهو شاحٍ كأن لحية خواً تكتب لاح منها النجار
وقال أيضاً :

- ١ على كل سلبية لاحها طراد المسالِح أو سلب
- ٢ أشق شخيص كتيس الفلا قريستن أو جوذَر الحلب
- ٣ اذا ما تصعلك من خشوق فأصبح كلفرد الأشعب
- ٤ أمرت حوامل اوصاله كما تستر قوس القنب
- ٥ وأشرف حاركه والقطا ط منه على طاقة المركب
- ٦ على أن مجتمع القصرية ن ايس بغوط ولا أحذب
- ٧ كيت كأن على متنه سبائك من قطع المذهب

التوضيح

(١٢) اسم فاعل من شحافه يشعوه اذا فتحه ، والحوّ والجوّ الوادي والناط من الارض . ولا معنى له هنا مضافاً الى القتب ، وهو الكاف البمر ، فله مصحف عن (جنباً قتب) ، ومثله قول الشاعر :

كأن فاهما والجم شاحية جنباً غيط سلس نواحيه
(لاح) يقال كما مر : لاحه المطش لوحاً ولوّه غيره وأضره ، وكذلك السفر والبرد والسقم والحزن كما في اللسان ، فالمنى واضح أي أضر التجار جنبي القتب وقد شبه بهما اللحين كما مر .
(١) السلب : من الخيل الطويل وقوله (لاحها طراد المسالِح) أي غيرها أو ضرها والمسالِح جمع مسلحة وهي الرقب يكون فيه قوم ذوو سلاح يرقبون العدو ، والمنى واضح .
(٢) الأشق : من الخيل الطويل ، و (يستن) يشط والاستنان النشاط ومنه المثل المذكور : استنت الفصال حتى الترعى) ، أي ان فرسه نشيط كتيس الفلاة وجوذَر الحلب ، وهو نبات ترماه الظباء والشاة تسمن عليه فيشتد مرحها ، ومثله قول النابغة يصف فرساً :

يباري النواضر صلت الحبيسن يستن كالتيس ذي الحلب

(٣) تصعلك : الفرس طار ويره ، والخشوة السمن ، والفرد الاشعب : الثور ذو القرنين المتباعدين
(٤) ليل الصواب : القطاة ، وهي ماين الوركين ، وقيل مقعد الردف من الدابة خاف الفارس ، والمارك أعلى الكاهل وقيل فرعه ، وطأة المركب ووطاءه سهولته . (٦) النوط : في الناط اي المطمئن . (٧) المذهب : أي الدوة بالذهب ، ويقال كيت مذهب للذي تلو حمرته صفرة .

الغوطة (١)

جزئيات المحاضرة

- (١) الغوطة وحدودها (٢) بساتينها وقراها (٣) الأبنية الأثرية فيها (٤) مزارعها (٥) سكانها ولسانهم وأديانهم (٦) آثارها وزروعها (٧) أنهارها وريها (٨) مدينتها (٩) صناعاتها الزراعية (١٠) منزهاتها (١١) أديها

سبق لي مساء اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط الماضي (١٩٤١) أن أحدث المستمعين الى مذيع (راديو) الشرق في بيروت ببعض ما عرفت عن غوطة دمشق ، والآن أريد أن أتوسع في هذا الموضوع اللذيذ المفيد بأطول مما كنت تحدث ، وأتوخى أن آتيكم بما عرفته من طريق الدرس والتجارب الشخصية .

الغوطة وحدودها

اشتق اسم الغوطة من الغائط ، والغائط المطمئن من الأرض ، والجمع غيطان وأغواط ، وقال ابن الأعرابي : الغوطة مجمع النبات . وورد اسم الغوطة بلفظ التثنية في الشعر القديم والحديث قال ابو المطاع بن حمدان :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها فلي يجنوب الغوطتين شجوب
وما ذقت طعم الماء الا استخفني الى بردى والنيربين حنين

والنيربان واحدهما النيرب ، وهي قرية كانت على نصف فرسخ من دمشق قال ياقوت : إنها أنزه موضع رآه . وفي مراصد الاطلاع : (إن النيرب قد جاء في الشعر مثني) فلعل ياقوت فهم منه أن هناك موضعاً آخر وليس كذلك . فان الشاعر قد ثنى الغوطتين وليس إلا غوطة ، كما ثنوا الفيضتين قال ابن منير :

سقاها وروى من النيربين الى الفيضتين وسمورية

(١) محاضرة القاها الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي في السادس والثالث عشر من ربيع الآخر سنة ١٣٩٠ و ٢ و ٩ ايار سنة ١٩٤١ « في ردهة المحاضرات »

الى بيت لها الى برزة دلاح^(١) مكفكة الأوعية

وللتيرب اليوم يقال أرض التيرب وهي في جوار قرية المزة . والغوطتان
على ما يظهر هما الغوطة الغربية والغوطة الشرقية . وقال بعضهم الغوطتان الغوطة
الشمالية والغوطة الجنوبية أو القبلية .

وقيل انه كان يطلق على الغوطة اسم (البريص) وقد ورد في شعر حسان بن
ثابت يمدح بني غسان بقوله :

لله در عصابة نادمهم يوماً يجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية المعم المخول
يسقون من ورد البريص عليهم يزدي يصفق بالرحيق السلسل

قال ياقوت : وهذا يدل على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها ، ألا تراه نسب
الأنهار الى البريص ، وقال يسقون ماء بردى ، وهو نهر دمشق ، من ورد
البريص . ورواية البلاذري في فتوح البلدان أن أبا عبيدة بن الجراح وخالده بن
الوليد يوم فتح دمشق التقيا بالمفسلات وهو موضع النحاسين وهو البريص الذي
ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول : يسقون من ورد البريص عليهم . البيت -
لا تعطي العبارة أن البريص هو بردى بل يفهم منها أنه مكان آخر .

لم يحدد القدماء الغوطة ، ولم يعرفوها التعريف المطلوب . فقال المقدسي : إن
مساحتها مرحلة في مثلها . وقال القزويني : إن طولها مرحلتان في عرض مرحلة .
وقال ياقوت : إن استدارتها ثمانية عشر ميلاً . وقال شيخ الربوة : إنها من حيز
دمشق ناحية يكون طولها ثلاثين ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً^(٢) . وقال ابن

(١) سحابة دلاح كثيرة الماء : ج دلاح (٢) المرحلة مسيرة يوم على الراكب بالسير المعتدل
واليل منه ألف اصبع إلا أربعة آلاف اصبع ، أو ثلاثة أو أربعة آلاف ذراع ، بحسب اختلافهم في
الفرسخ هل هو تسعة آلاف بذراع القدماء ، أو اثنا عشر ألف ذراع بذراع المحدثين . وعرفوا
الفرسخ أنه ثلاثة أميال هاشمية أو اثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف . والذراع أيضاً يختلف
 باختلاف الأقطار والأعصار .

طولون الصالحى في كتابه (ضرب الحوطة على جميع الغوطة) إن قرية زبدین آخر حدودها ، وهو صحيح ، ولم يذكر حدها من الشرق والغرب . وزعم أن (حران العواميد) من الغوطة وهي من قرى المرج ، وبينها وبين الغوطة أربع ساعات على الراكب ، وهكذا عدّها ياقوت وهو غير صواب . وذكر البكري في (معجم ما استعجم) أن قرية دمر من الغوطة وعدّ الدوّ من الغوطة وقال أنها تلقاء البضيع ^(١) .

والظاهر أن القدماء قدروا الغوطة على هذه الصورة بحسب ما رآها كل واحد في عصره ، وكانت تتسع وتنقبض تبعاً للكائنات الأرضية والسماوية . وقد قال صديقنا العلامة الأثري دوسو ^(٢) إن الغوطة تطلق على الصقع الذي يروى حول دمشق بين الجبل والبحيرتين (بحيرة المرج وبحيرة الهيجانة) حيث تنصب فضلات الأنهار ، وأن الغوطة الآن إذا أطلقت يراد بها الكورة التي فيها الحدائق والبساتين أي أن المرج غير داخل في الغوطة . وقال بعض القدماء إن الشام الثالثة الغوطة ، ومدینتها العظمى دمشق . وقال مرتين إن الغور الشرقي يكون سهل دمشق الذي يمتد من أقبال ^(٣) الجبل الشرقي إلى بادية الشام أو بادية تدمر ، فعند تخوم هذه البادية غوطة أريضة من أجل ما أحدثت به الطبيعة تشقها الأنهار

(١) كذا البصيم مصغراً وروى بالفتح في شعر حسان بن ثابت .

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجواني فالبصيم فعومل

والبصيم بالصاد المهلة وقال إنه جبل بالشام أسود . وجبل البضيع يعني جبل الكسوة المشرف على النوطة . هذا ما قاله ياقوت . وروى في التاج عن الأزهري أنه رأى جبل البصيم وقال أنه جبل قصير أسود بأرض البليّة فيما بين نيسل وذات الصنمين بالشام من كورة دمشق . وفي وسط الكورة جبل يناوح جبل المانم اسمه البضيع (بالميم والضاد والياء المشددة) ولله هو الأقرب إلى الصواب . والبصيم أو البضم هو ذاك الجبل الذي يقع في أول حوران

(٢) في كتابه طوبوغرافية تاريخية لسورية في الأدوار القديمة وفي القرون الوسطى .

Dussaud : *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale* .

(٣) الأقبال جمع قبل والقبل الفنز من الأرض أو رأس كل أكمة وجبل .

الكثيرة ، وتكسوها الخضرة ، وبغشيتها النبات الغض الوفور ، عرضها نحو ستين كيلومتراً ، وليس لهذا النجد البهيج من العلو الا ٧٣٠ متراً عن مساواة البحر . وقوله ان عرضها ستون كيلومتراً فيه نظر ، ولعله يريد طولها ولا يمكن أن يكون طولها كذلك إلا إذا تجوزنا وأدخلنا فيها المرج .

ويستنتج من كتب الجغرافيا والتاريخ ودواوين الشعراء وأرباب الرحلات ومصطلح القوم لهدنا أن الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجرية ، وكانت من الأرض المطمئنة التي تروى من نهر بردى ، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة ، وعلى هذا فخذ الغوطة يبدأ غرباً من 'فوهة' وادي الربوة فاللزة فداريا وينتهي بالجنوب بصحنايا والأشرفية وسبينة وسبينات وحوش الريحانية . ومن الشرق بالريجات والشفونية وحوش مباركة وحوش الأشعري وحوش المتبن وحوش خرابو والفضالية والنشائية وبيت نايم ، وينتهي في الشمال بجبلي قاسيون وسنير ، وسنير هو جبل قنون ، ويسمونه لهذا العهد أيضاً جبل الحلو ، وهو فرع من فروع لبنان الشرقي *Anti-Liban* ويشرف الجبل الأسود على الغوطة من الجنوب ، ومن الشرق أرض المرج ، وهو إقليم متسع تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف الغوطة وهو أيضاً بفتح نجد منخفض من الأرض ، وأشجاره قليلة ، وهو خاص بزراعة الحبوب في الشتاء والذرة في الصيف .

ويقدر طول الغوطة بنحو عشرين كيلومتراً وعرضها يختلف بين ١٥ و ١٠ كيلومتراً تقريباً . وقد تمت مساحتها في العهد الأخير فبلغت (٤٠٦٠٠) هكتار أي نحو خمسة وستين ألف فدان ، والفدان ستة دونمات وكسر ، والدونم مبذر مد من الحنطة ، والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً والدونم ٩١٩ متراً مربعاً . وتدخل مدينة دمشق في هذه المساحة .

بساتين الغوطة وقراها

يقول ابن شداد : إن الغوطة تشتمل على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة

وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرماً . وقال شيخ الربوة من أهل القرن الثامن إن بساتين دمشق مائة واحد وعشرون ألف بستان تسقى بماء واحد . وقال كاتب جلبي من أهل القرن الحادي عشر في كتابه « جهاننا » : ان في الغوطة مائة وثلاثين ألف بستان . وقال ابن إياس إنها بساتين كلها . وهذا الوصف الأخير أقرب الى الحقيقة ويصدق عليها في العهد الأخير خاصة ، وذلك بعد أن عرف الغوطيون فائدة الأشجار ، وأخذت ثمراتها تصدر الى القاصية والدانية من البلاد . وفي كل سنة تزيد بساتين دمشق مئات ، ولا يستبعد أن تبطل بعد نصف قرن معظم زراعة الحبوب من الغوطة ويستعاض عنها بالأشجار المثمرة وغير المثمرة .

حدث أحد الشيوخ أنه كان في طفولته اذا وقف مع أهله أمام قبة سيدي أبي ، على مقربة من سور البلد في الجنوب ، يرى قريتي جرمانا والمنبيحة من بعيد ، وذلك لأن هذه الحدائق التي نراها اليوم تحجب النظر ان يسرح مئة متر ، كانت خالية من الشجر ، وقد غدت اليوم غابات غيباء ، وأدرك الجبل الذي قبلنا أن قريتي الحديثة وبالا كانتا كقرى المرج ، تزرعان الحبوب والخيار والقنب فقط وأشجارهما قليلة جداً وربما عدتا من المرج وهما اليوم من أكثر قرى الغوطة شجراً مختلفاً أنواعه .

ويقول الظاهري في زبدة كشف الممالك ، وهو من أهل القرن العاشر : وقيل إن في اقليم الغوطة ثلاثمائة قرية ونيفاً وبها مدن صفار وبلدان تشابه المدن . وقوله هذا دليل على أن الغوطة كانت عامرة جداً على عهد المالك وأصابها الخراب زمن الترك العثمانيين ، ولا سيما في القرنين الأخيرين من حكمهم ، فغرب معظم قراها ، وانضمت أرضها الى القرى المجاورة ، وقل سكانها ، واضمحلت عمرانها ، وما يشاهد من الدمار والتلال في أرجائها أصدق شاهد على ذلك ، وما كانت السبب الأول في خرابها غير توالي الأوبئة والطواعين والزلازل والمجاعات ونتابع غارات البادية على المحور ، واعتداءات جيش الدولة على المستضعفين . على أن قول الظاهري : انه

كان في الغوطة أكثر من ثلاثمائة قرية لا يخلو من مبالغة ولو ضممنا إلى الغوطة المرجين ما بلغت قراها هذا المقدار .

وذكر ابن طولون الصالح في القرن العاشر أن بالغوطة سبعين قرية وبعضها الآن دارس . وقرى الغوطة اليوم ثنتان وأربعون قرية ، وأهمها من حيث وفرة السكان (دومة) حاضرة الغوطة الشمالية و (داريا) حاضرة الغوطة الجنوبية . ويزيد سكان دومة على ثمانية عشر ألفاً وسكان داريا على اثني عشر ألفاً ، وكل من قريبي (عرييل) و (جوير) لا يقل عن ثمانية آلاف ، وكل من (حرمستا) (وكفرسوسية) و (المزة) لا يقل عن ستة آلاف . أما سائر القرى فيختلف سكانها من بضع عشرات من الأنفس كالحديثة وبالا والاقتريس إلى بضع مئات ، ومنها ما يبلغ الألف والالفين أو الثلاثة أو الأربعة كمحورية وكفربطنا وجسرين والمنيحة (المليحة) وجرمانا وصحنايا وسقبا وزملكا .

وإليك أسماء قرى الغوطة بأجمعها : دومة ، داريا ، عرييل (عريين) جوير ، حرمستا ، كفرسوسية ، المزة ، مسرابا ، مديرة ، بيت سوا ، المحمدية ، محورية ، كفربطنا ، جسرين ، الاقتريس ، حزة ، زملكا ، عين ثرماء (عين ترما) ، القابون ، برزة ، الحديثة (حديث الجرش) المنيحة (المليحة) بالا (القديمة والجديدة) زبدین ، البلاط ، الخيارة (خيارة نوفل) ، عقربا ، جرمانا ، دير بجدل ، قبر الست ، سبينة ، سبينات ، حوش الریحانية ، حجرة ، بيت سمح ، ببيلا ، يلدا ، القدم ، الأشرفية صحنايا ، البويضة ، بلاس . وإذا جمعت أيضاً هذه البساتين المحيطة بدمشق مثل بساتين الصالحية والريوة والمزة وباب السريجة والقنوت والميدان والشاغور والعنابة تألف منها بضع قرى .

ومن القرى التي كانت على أبواب دمشق فدخلت فيها عندما توسعت إلى ما وراء السور : الصالحية والعقية وميدان الحصار والصفوانية ، وتحرف اسم هذه اليوم فيقال لها الصفوانية ، ذكر ياقوت أن الصفوانية من نواحي دمشق خارج باب توما من

أقليم حرلان ، وان توماء اسم قرية ، واليها ينسب باب توماء ، بالهمزة في آخرها
ومنه اسم توماء لا توما . وذكر أيضاً قينية وقال إنها كانت مقابل الباب الصغير
وقال (الحميريون) محلة بظاهر دمشق على القنوت وكانت على طريق كفرسوسية
ومثلها اللؤلؤة محلة كانت خارج باب الجاية ، و (طرتميس) من قرى دمشق
و (الأوزاع) موضع مشهور بربضها سكنه في صدر الاسلام بقايا من قبائل شتى ،
واليهم ينسب الامام الأوزاعي دفين بيروت . ومن القرى الدائرة في الغوطة المصبغة
كانت شرقي بيت لحيان وعالية وعويلية عند القطائع ذكرهما ابن جبير في رحلته
بالعين المعجمة (بالغين) وهما موضعان قرب مسجد الأقدام على ميلين من
مدينة دمشق . وذكر ابن طولون الصالحى قرية (برنابا) وقال إنها خراب فوق
سقبا . وقال ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق إن أراضي (فذايا) و (حلفيتنا)
و (الخمسين) مصابة للبلد وهذه الثلاث دثرت وكذلك « راوية » وكان بها قبر
أم كلثوم وقبر مدرك بن زياد الفزاري الصحابي . وفذايا في جنوبي مقبرة اليهود .
وقد وردت أسماء بعض قرى الغوطة في شعر حسان بن ثابت قبل الاسلام عندما
مدح آل جفنة قال :

لمن الدار أفقرت بمعات بين شاطي البرموك فالصمان
فالقريات من بلاس فدار يا فسكاء فالقصور الدواني
فنقا (جاسم) فأودية (الصفة) ر) مغنى قبائل وهجاء
ذاك مغنى لآل جفنة في الدهر ر وحقاً تعاقب الأزمان
نكلت أمهم وقد نكحتهم يوم حلوا بجارث الجولان

وبلاس وداريا من قرى الغوطة وسكاء بينها وبين دمشق كما يقول ياقوت
أربعة أميال في الغوطة ، والصحيح أنها ليست منها وهي موجودة اليوم . وقد أضاف
صاحب معجم البلدان الى الغوطة قرى ليست منها مثل دير أبان قال انها قرب قرستا
وهذه قرية معروفة تعد مرزجية ، ومثلها عذراء ، والنمرانية ناحية الوادي وذكر

حرلان وتلفياتا وسام والقوينصة والقصرين ، عاداً لها من الغوطة وكل ذلك دأثر لعهدنا . ومن قراها (جَدَيَا) كانوا يسمونها على عهد ياقوت جدّيا ولا يعرف أين مكانها . ومن القرى ما كانت صغيرة منذ قرون فَعُظُم واتسع مثل جسرين كانت بلدة كبيرة فأصبحت اليوم متوسطة ، ومنها ما كان كبيراً فصغر مثل البويضة وزملكا وبلاس وعقربا .

وكانت في بعض قرى الغوطة أسماء تبدأ بكفر والكفر القرية بالسريانية ، ولم يبق منها الآن سوى كفرسوسية وكفربطنا . وأسماء بعض القرى سريانية محضة مثل برزة - بيت الأرز . جرمانا - عظمي . جسرين - جسر . حجرة - عُرج . حرجلة - جراد . حرستا - خشنة . حزة . مُحفر . داربا - دُور . زملكا - رواق الملك ومصيفة . سبينة - مبتاعون . سقبا - شيخ . شفونية - أرض للزرع . عرييل - غربال . قابون - عمود . كفربطنا - قرية الجنين . مديرة - طبقات البناء . مسرابا - مشرب . بلدا - ولد . ومن أسمائها ما هو من أصل عربي مثل المنيحة ، المحمدية ، القدم ، عين ثرماء ، الحديثة ، الأشرقية ، البويضة ، الخيارة ، البلاط . ومن قراها ما كانت يبدأ بفندق أو قصر أو طيرة أو بيت ، مثل فندق بني عبد المطلب ، وفندق الراهب ، وقصر اللبان ، وقصر بيت لهما ، وقصر بني عمر ، وقصر حجاج ظاهر باب الجاية . قال زين الأمانة ابن عباد : بدمشق عدة قرى يقال لكل واحدة منها طيرة بني فلان ، والنسبة إليها طيري . ومثل بيت الآبار كانت كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى في رواية ياقوت . وكانت هي وداعية والحارثية معروفة الى القرن التاسع . وذكر ياقوت أيضاً في الغوطة بيت أرائس وبيت البلاط وبيت سابا وبيت قوفا وبيت لهما ، وتعدّ زملكا من اقليم بيت لهما . وكانت بيت لهما في عهد القرمانلي من أهل القرن الحادي عشر خراباً ليس فيها دار ولا آثار ، وداعية كانت قرية بين حمورية وبيت سوا ، وكانت كفربطنا من اقليم داعية ، واليها ينسب نهر الداعياتي .

وفي الغوطة اليوم أنهر تنسب لإحدى القرى ، دثرت القرية وبقي اسم نهرها ، مثل قناة دير بشر المارة بجوش بلاس ، تنسب إلى بشر بن مروان الأموي ، ومثل قناة بيت أرناس ، وكان في بيت أرناس قبر مرثد دثار بن الحصين من الصحابة والقناة تمر بأرض الشاغور ولا أثر لبيت أرناس ، ومنها نهر حردان ، ونهر حردان نسبة لقرية كانت فوق قرية سقبا بقي اسم نهرها إلى اليوم فقط ، هكذا يلفظونه . والحولان كما وصفها علماء تقويم البلدان ناحية بالغوطة فيها عدة قرى وبها قوم من أشراف بني أمية ولعلها حردان بعينها .

ويؤخذ من منشور صادر عن نور الدين محمود بن زنكي في سنة ٥٦٩ أن حي الميدان والشاغور والمزاز وقبر عائكة والشويكة والقنوت وسوق صاروجا والعقبة والعمارة وغيرها من الأحياء الخارجة عن السور كانت في القرن السادس مزارع ومصايف وحدائق ومنتزهات وهي اليوم من أحياء العاصمة . وروى ابن عساكر عن مضر بن العلاء أنه كان يعرف من زقاق فذايا إلى قرية تعرف بواسط في الغوطة حوانيت ومنازل . وحكى عن شيوخه أنهم قالوا إن العمران يتصل بهذا حتى يصير سوق القمح في قرحتا (وقرحتا على ساعتين من دمشق) . وقال محمد بن أبي العلاء إنه كان على نهر يزيد رواشن مشرفة عليه ، وكان أكثرها ظاهرا البلد منازل للقبائل وقرى متصلة وأسس متقاربة ، فخرّب ذلك في الفتن والحروب والحصارات ، وتمادى عليها الخراب إلى عهده . وذكر من منازلها القبلية فندق بني عبد المطلب عند سوق الدواب والراهب قبلي المصلي عن يسار المار قبلي المسجد الجديد بعد مسجد فلوس ومحلة السفليين عند المسجد الجديد والثمامسة عند المسجد القديم وعويلة قبلي مسجد القدم ، والقطائع يقال لها ريج حوران قبلي الشاغور وغير ذلك ، وأما ما كان شمالي البلد فسطرا والفراديس والأوزاع والصدف ومقرا وشعبان وخرج الأشعرين وغير ذلك . ومن الغرب لؤلؤة الكبيرة ولؤلؤة الصغيرة وقينية وصنعاء والحيرين ومنازل بني رعين وغير ذلك سوى ما كان في شرقي البلد من

غربي الغوطة والمرج من القصور والدور والمنازل المعروفة والأماكن المذكورة مما عفا رسمه وبقي ذكره . قال وما من موضع يحفر فيه الا وجد فيه أثر العارة من سائر نواحي البلد من قبله وشرقيه وشأمه وغربيه ، والله يحرس ما بقي منها ويحميه بنيه ولطفه اهـ

ومن . أما كنها الدائرة الدراجية وهو برج الدراجية على باب توما ، كان لعبد الرحمن ويقال لعبد الله بن دراج مولى معاوية بن أبي سفيان وكتبه على الرسائل في خلافته . ومنها طرميس والسقي وسام وأرزونا قرية قرب عرييل ، وبيت الأبيات كانت محل طاحون الشنان ، وبيت الأبيات كما في تحقیقات السيد دوسو هي سيف الغرب تدخل فيها قرية النيرب ، وبيت الآبار قرب جرمانا ومنها بيت سابا . ومن قراها الدائرة يعقوبا قرية صغيرة كانت غربي حزة

بعض عاديات الغوطة وآثارها

أهم عاديات الغوطة أديارها وفي كتب الفتوح أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صالح أهلها على خمس عشرة كنيسة كانت في دمشق فنزلوا له عن نصف كنيسة القديس يوحنا أي الجامع الأموي كان المسلمون أخذوا نصفه يوم دخلوا دمشق . وكان في الغوطة دير بونا « يوحنا » و « دير محمد » كان عمر بن عبد العزيز يراه أهلاً للخلافة ، واليه تنسب المحدثات فوق الأرزة ودير محمد كان عند المتبعة من اقيم بيت الآبار ، و « دير الحنابلة » كان بسفح قاسيون و « دير هند » كان سيف مقاطعة بيت الآبار و « دير بشر » كان عند حجرية ينسب الى بشر بن مروان ، و « دير العالية » نزله مروان بن محمد . ومن الأديار الدائرة « دير حنين » و « دير الماطرون » و « دير قيس » و « دير سمعان » قال القرماني إنه كان سيف الغوطة و « دير خالد » ويعرف « بدير صليبا » و « دير زكي » . و مر بهذا الدير عبد الله بن طاهر من اعظم وزراء المأمون ومعه اخ له فشربا فيه وخرجا الى

مصر فمات أخوه بها ، وعاد عبد الله فنزل في ذلك الموضع فذكر أخاه فقال :

أيا صروقي بستان زكي سلمتما وغال ابن أمي نائب الحدثنان

أيا صروقي بستان زكي سلمتما ومن لكما أن تسلا بضمان

ومن الأديار « دير البخت » على فرسخين من دمشق ويسمى « دير ميخائيل » كان عبد الملك بن مروان قد ارتبط عنده ببختا وهي جمال الترك فغلب امم البخت عليها . ومن أديارها المشهورة « دير مران » في سفح جبل قاسيون المطل على دمشق من الغرب ، كان يشرف على مزارع الزعفران من أرض اللوان . وبقي هذا الدير عامراً الى القرن السابع للهجرة ، ولطالما قصده الخلفاء والأمرء والشعراء وقيلت فيه القصائد والمقطوعات . ولأبي الفرج عبد الواحد الببغا من شعراء القيمة قصيدة قالها فيه لما قصده للتنزه . قال إنه فتح مناظر ذلك البيت الى فضاء ادى اليه بحاسن الغوطة ، وجباه بذخائر رياضها من المنظر الجناني ، والنسيم العطري ومما قال :

ويوم كأن الدهر ساعني به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر

جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا الى دير مران المعظم والعمر

بحيث هواء الغوطين معطره نسيم بأنفاس الرياحين والزهر

فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجري الى نهر

وفي الهيكل المعصور منه انزعمتها وصحبي حلالاً بعد توفية المهر

وتزهت عن غير الدنانير قدرها فمازلت منها أشرب التبر بالثبر

وسيف معجم ما استعجم : أن عقبة مرءان مشرفة على غوطة دمشق تبت شجراً

باسقاً تتخذ منه القنا والرماح وهو المران . ولعل الدير سمي باسم هذه الشجرة .

وكان في الغوطة (دير بولس) و (دير بطرس) او فطرس كانا في ظاهر دمشق

في نواحي بني حنيفة ، لا يبعد احدهما عن الآخر كثيراً ، وإياهما عني جبريل بقوله :

لما تذكرت بالديرين أرتقي صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقلت للركب اذ جد الرحيل بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس
ويبرين موضع في الأحساء من جزيرة العرب ، وباب الفراديس هو الذي نطلق
عليه اليوم باب العمارة احد ابواب دمشق .

قال ابن بطوطة وفي شرقي البلد (دمشق) قرية تعرف بيت الالهية ^(١) (لهايا)
وكانت فيها كنيسة وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملونة
المنظمة بأعجب نظام . ولم تبق لعهدا قرية تبدأ باسم دير سوى « دير مجدل » وكانت
هذه الأديار في الاسلام منازل المسافرين ، ومثوى المتنزهين والمتراضين ، يقصدها
الناس فيجدون فيها صدوراً رحبة ، وتُزَلَّ طيباً ، وشراباً لذيقاً (راجع مسالك
الأبصار لابن فضل الله العمري وكتاب الديارات للشابتي ومعجم البلدان لياقوت) .
والغالب ان القرى التي يبدأ اولها بدير كانت اولاً ديراً فقط . ثم توفرت بجانبه
الأرض المغروسة والمزروعة ، وكثر القائمون على حراستها وزرعها ، فأصبح الدير على
توالي الأيام قرية برأسها . كما كان الحال في كثير من المدن والقرى في بلاد
الغرب خلال العصور الوسطى ، استحال الدير بلداً مع مرور الأيام .

ميزات الغوطة

اجمع من وصفوا الغوطة على توالي القرون انها شجراء ، وان فيها قرى كالمدن ،
وان اهلها كأهل الحاضرة بعاداتهم وازيائهم . ولولا الغوطة ما كانت دمشق من
اجل مدن العالم ، ولولا دمشق ما كانت الغوطة إلا صحراء خالية تعيش البادية في
ربوعها . وعيث البادية في المعمور من بلاد الشام قديم جداً على ما يظهر ، لنزول
العرب بلاداً مجذبة من الجزيرة تقحط أكثر السنين فيضطر أهلها الى الاتجاع ،
فلا يرون أمامهم غير بلاد حوران المتاخمة للغوطة ، وإذا لم يجدوا مراعي لمواشيهم
في الجولان والجيدور والبثنية والصفاء واللجاة يعرجون على الغوطة بالضرورة ،
ولذلك أقام الرومان مخافر عظيمة على سيف البادية لا تزال الى اليوم بعض آثارها

(١) بيت الالهة كانت حاره في دمشق

مائلة ، وولوا عليها رجالاً من بني غسان من متصرة العرب ليحموها من غارات
اهل البادية ، فكان أمراء الغساسنة حماة الغوطة وما اليها من المعمور ، والوسطاء
بين قومهم العرب وأصحاب البلاد من الرومان .

ولما جعل بنو أمية من دمشق عاصمة ملكهم العظيم ، كان للغوطة حظ جزيل
من عنايتهم ، فنزلها رجال منهم وعمرها فيها القصور ، وأنشأوا المزارع ، وشقوا
الجدول ، وعنوا باستثمارها واستنابتها . ولولاها ما حازت الغوطة هذه الشهرة ،
ولولاها ما كانت دمشق على هذه العظمة ، وما دمشق كما قال العلامة لامنس إلا
حسنة من حسنات بني أمية . نعم دمشق مدينة للأموهين لاختيارها عاصمة لهم ،
وهم أحسنوا ولا جرم الاختيار ، فهي وغوطتها سواء .

ولابن أبي العجائر كتاب فيمن سكن الغوطة من بني أمية نقل عنه المؤرخون
والجغرافيون . قال ابن قيس الرقيات :

أجارك الله والخليفة بالغوطة داراً بها بلو الحكم
المانعو الجار أن يضام قماً جار دعا فيهم بمهضم

وقال أيضاً :

أقفرت منهم الفراديس فالغوطة ذات القرى وذات الظلال

قالوا لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام رأى الغوطة ونظر إلى
المدينة والقصور والبساتين فتلا قوله تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين) . ثم أنشد
قول النابغة .

هما فتيا دهر يكر عليها نهار وليل بلحقان التواليا

إذا ما هما مرايجي بقبطة اناخا بهم حتى يلاقوا الدواهيا

قال ابن كثير هذا يقتضي بادي الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك فانه

لم يقل أحد انه دخلها .

ويروى ان امير المؤمنين المأمون العباسي اقسم يوماً وقد نظر إلى اشجار

الغوطة ونباتها انها خير مغنى على وجه الأرض وقال : عجبت لمن يسكن غيرها كيف بنم مع هذا المنظر الأنيق الذي لم يخلق مثله .

روى ابن عساكر ان ملوك بني العباس لم يزالوا يخفون إلى دمشق طلباً للصحة وحسن المنظر منهم المأمون فانه اقام بها واجرى اليها قناة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران وبني القبة التي في اعلى الجبل وصيرها مرقباً يوقد في اعلاها النار لكي ينظر إلى ما في عسكره ، فاذا جن عليه الليل كان ضوءها إلى ثنية العقاب وإلى جبل الثلج .

ومن اعظم ميزات الغوطة كون ارضها مقسمة بين اهلها تقسيماً طبيعياً في الجملة ، فلا ترى فيها زراعات كبيرة إلا نادراً ، وهذه معها بلخ من سعتها تدار بمثل العناية التي تدار بها الزراعات الصغيرة . هكذا كانت في معظم ادوار التاريخ الاسلامي ، حتى ان سيف الدولة بن حمدان لما طمع ان يضم الغوطة إلى الاملاك السلطانية كاتب اهل دمشق ملك مصر فجاء في جيشه وطرده سيف الدولة عن الغوطة وعاصمتها ، وحرّم ابن حمدان ملك دمشق لأنه حاول ان يجعل من الغوطة مزرعة واحدة ملكاً له . وكيف يرضى الفواطنة عن ذلك وهم يعتزون بها وينعمون ويسعدون ويقولون في امثالهم « شبر بإلية الخروف ولا ذراع بذنب الثور » ويقولون « قلّ بتغلّ » أي قليل من الأرض الجيدة تحسن تعهدها أعود عليك من ارض واسعة باثرة . ومن يملك في الغوطة فدانين أو ثلاثة فهو سعيد مرفه ، ومن مزايهاها أن اهلها يجزئهم ما تنبت له لهم أرضهم من المواد الأولية ، ولو كان عندهم الحديد والفحم الحجري لما احتاجوا إلى شيء في صناعاتهم وزراعاتهم . ومن مزايهاها أنها لكثرة أنواع محاصيلها من شجرها وأرضها وبساتينها وحقولها اذا اصابتها آفة سماوية في بعض السنين تستعويض من الأصناف الباقية ما تعيش به سنتها .

سكان الغوطة ولسانهم وأديانهم

دخلت اللغة العربية كورة الغوطة قبل الاسلام بقرون ، لنزول بني غسان

العرب فيها ولأن تجار العرب ما انقطعوا عن نزول هذه الديار منذ عرف التاريخ . ولما جاء خالد بن الوليد مدداً لجيش الشام من العراق عن طريق البادية غزا بني غسان في الغوطة يوم فصحهم ، وركز العقاب راية الرسول عليه الصلاة والسلام في الثنية المطلة على الغوطة ، وهي هذا الجبل الهرمي البادي من الشمال للأنتظار فسميت الثنية ثنية العقاب .

قال يعقوبي إن أهل كورة الغوطة غسان وبطون من قبس وبها قوم من ربيعة ، وقال الهمداني في صفة جزيرة العرب : ومن كلب بارض الغوطة عامر ابن الحصين بن عليم وابن رباب المعقلي . فبعض سكان الغوطة إذاً من أصول عربية ، وأكثر من نزلها اول الفتح كانوا من العرب دع من كان فيها من الفساسنة وغيرهم قبل الاسلام . ولذلك كان سكان الغوطة يشتركون في معظم الاحداث التي تحدث في دمشق سياسية كانت أو غير سياسية ، على ما عرف في العرب من النجدة والاربيجة ، ويصهر بعض الدمشقيين الى الفوطيين ، ويتزوج بعض الفوطيات من أهل دمشق .

اصبح سكان الغوطة على توالي القرون مسلمين من اهل السنة ، وليس بها لعهدنا سوى بضع مئات من المسيحيين في داريا وعربيل وصحنايا والأشرفية ، وفيها مئات من المسلمين الدروز في جرمانا وصحنايا والأشرفية ، وكان جميع أهل قرية جوهر يهوداً إلى ما بعد القرون الوسطى ، فانتقلوا الى دمشق في زمن لم نعرفه ، ولم يبق لهم فيها إلا كنيس مقدس عندهم يزورونه ويقيمون فيه صلواتهم . ويقول دوسواينه في عهد الشغاليه دارفيو *Le chevalier d'Arvieux* من اهل القرن الثامن عشر كانت جوهر يسكنها اليهود . وقد استغرب ابن طولون الصالح ان اهل جرمانا تيامنة ، قال : وهذا عجب من كونه في هذه الغوطة فان اهلها جميعهم من اهل السنة .

ليس للغوطة احصاء ير كُن اليه ولا يقل اهلها عن مئة الف انسان على اقل تقدير . وقد غموا في العهد الاخير غموا هائلاً لقلّة الأوبئة ، وانقطاع الحروب منذ زهاء خمس وعشرين سنة ، وما اظنها كانت قبل خمسين عاماً أكثر من عشرين ألفاً ، وكانت اهلها الى اواخر القرن الماضي يتتاعون العبيد ليعملوا معهم في الارض وذلك لقلّة اليد العاملة في ذاك العهد .

ويقل جداً من هاجر إلى اميركا وغيرها من اهل الغوطة ، على نحو ما يكون من سكان الجبال المجاورة الذين غادروا مساقط رؤوسهم بالالوف . وندر من يرتحل عن أرضه من الغوطة ، مهاضقت به سبل العيش ، اللهم إلا للتجارة مؤقتاً . وما عهد أن مات أحد جوعاً في الغوطة . ويروى أن عيسى بن مريم عليها السلام قال وقد أشرف على الغوطة : يا غوطة إن عجز الغني أن يجمع منك كنزاً ، لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً .

قلت مرة في وصف الغوطة وأهلها : سلام على سكوتك في الليالي الظلماء والقمر ، ربيعاً كان أو صيفاً أو خريفاً أو شتاء ، وهينئاً لمن يستمتعون بالنظر إليك من الصباح الى المساء ، وينعمونك بالحرث والكرث والتنقية والزرع والارواء ، سواء عندهم سحابة القيظ وصبارة القر ، وظلمة الليل وشمس النهار ، سلام عليهم إنهم مثال النشاط في المزارعين ، لا يرضون على أرضهم باوقاتهم وأنعامهم ، وهي تجودهم ضروب الخيرات كلها جودوا زراعتها ، وتزبد لهم بركات على بركات كلها رعوها فأحسنوا رعايتها ، وهم معها صهت جوسمهم حرارتها ، وصفرت سخنائهم رطوبتها ، بيض الوجوه شم الأنوف ، لأن رزقهم مناط أيديهم العاملة ، لا يعتمدون في تحصيل قوتهم على غير قوتهم ، ولا يتكفون على غير من ينزل الغيث وينبي الزرع ويدبر الضرع . في هذا الريف العجيب تقرأ سور العدل الإلهي في تقسيم الأرزاق ، فلا فقر مدقع ، ولا غنى مفرط . بل هناك تتمثل اشتراكية الاسلام والفقرة ، يعيش القائمون على تعهده عيشاً متشابهاً ،

ويقتني افراد منهم بذكائهم واقتصادهم ، فلا ترى في فقرائهم سلاطة الجياع ارباب
النهم ، ولا في اغنيائهم قسوة قلوب اهل الرفاهية والنعم .

ثمارها وزروعها

يجود في كورة الغوطة معظم الثمار والحبوب والبقول التي تجود في الأقاليم
المعتدلة ، ولا يجود فيها الليمون والبرتقال ، ولا النخيل والموز للجليد الذي يحدث
فيها بعض ايام الشتاء . فتنزل درجة الحرارة إلى خمس واحيانا إلى عشر درجات
واكثر تحت الصفر ، وقد اشتهرت داريا بعنبها الزيني وبقل نظيره في انواع العنب
الجيد ولطالما نقلت جفئات كرومها وزرعت في كروم بعيدة فما اتى عنبها كالعنب
الذي يكون من كروم داريا واشتهرت به ، وعرفت دومة بعنبها الاحمر ، ويجود
الزيتون على انواعه اجمالا في القرى التي تكثر في ارضها الحصباء ، وليست ذات
تربة طينية لزجة ، كبرزة والقابون وحريستا ودومة والمزة وكفرسوسية وبلدا
وبيللا وحوش الریحانية وغيرها .

وفي الغوطة الوسطى يجود القنب ، ولا مثيل له فيما يزرع منه في بعض قرى
حلب وغيرها . يجود في أرض الحمدية وحمورية والاقتريس وجسرین وسقبا
وكفربطنا وزبدین والبلاط والحديثة والمنجعة وجرمانا وعقربا ، اي في القرى التي
تسقى من نهري المنجعي والداعيانى اللذين يحملان أوساخ دمشق ، كما أنه يجود
في بعض الحدائق كأرض الشاغور والبساتين الواقعة حفايف هذين النهرين ،
ومحصول القنب في القرى التي تتوفر على زراعته يزيد على نصف محصولها السنوي
من سائر أصناف الحبوب والثمار ، وزراعته صناعة عظيمة كالكرمة في داريا ودومة .
وتستأثر سقبا وحدها بأكثر من نصف المحصول تستخرج أعواده واليافه .
ولكل قرية او بضع قرى في الغوطة خاصة لا يشاركها فيها سواها .
فقد اشتهرت بساتين الضاحية وقرى كفرسوسية والقابون بالبقول والخضراوات

لا يجاريها بحار في هذه السبيل من جميع القرى ، يساعدها على هذا التفرد كثرة المياه فيها وقربها من الحاضرة ، واشتهرت جسرين بيزر الفضة ويزر الخيارد ، وعرفت حرسنا وما إليها بالبيقية والايفسون والسسم ، وعربيل بلوزها ، وزمكا بكثراها ، ودومة بيطيخها الاصفر ، وبلدا وبيلدا والقدم يقشدتها .

واكثر ما في الغوطة من الاشجار المغلة المشمش على أنواعه ، وبكاد يكون شمش الغوطة منقطع النظير وبفوق بمائته ونكته شمش كلفورنيا المشهور كما روى العارفون . واستخراج عصير المشمش ذي البزرة المرة المسمى بالكلابي — من الفارسية كل آبي ، ومعناه ماء الورد — فن عظيم يحسنه أهله المتربون عليه . أما المشمش البلدي والحوي وغيرهما من الأنواع ذي البزرة الحلوة فشيء لا تشبهه إلا فاكهة الجنة .

وهناك الجوز واللوز والتفاح والكثري « الانجاص » والخواخ والجازك والآس والصبار والدراق والتوت الشامي والتين والسفرجل والزعرور وغيرها من الفواكه التي هي مضرب الأمثال بطعمها ونكهتها وحجمها ، وكان بكثري في الغوطة الزعفران والكراز والوشنة والكستانة (الشاه بلوط) والبنديق والمشمولة والقراصيا والجلجق (قزلق) فبطل غرس الكستانة والبنديق وقل القزلق والوشنة والمشمولة وفقد الزعفران بالمرّة كما نسبت زراعة القطر وزراعة التوت لتربية دود القز . وكان لدود القز في القرن العاشر محلات بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان تهرع الناس إليها في أيام حل جوز القز حتى يصير حريراً للفرجة عليه .

ومن أعظم موارد الغوطة الحور (الرومي والفارسي) والصفصاف ومن محاسنها الحيلان يشبه الصفصاف تصبغ في أوائل الربيع جميع أغصانه بالأحمر كقضب المرحان ويلحق به شجر الأذاد رخت (الزنزلخت) وله زهر طيب الرائحة ويزرعونه على جانبي الطرق العامة والجادات ، وكان بكثري فيها شجر السرو ولا تخلو دمشق وأرباضها من

أشجاره وكثرته إلى اليوم في أرض الصالحية ، وكان إلى القرن الماضي وافرأ في أرض الغوطة وما كان يخلو كل بيت في دمشق وغوطتها من شجرة أو شجرات منه . ومن الأشجار الحديثة فيها الاوكالينوس او الكينا والسنت (الاكاسيا) والشمش الهندي وبعض أصناف صارت بالتفنن بالتطعيم مثل المشمش الحلو ، ومنها الكراز . ومن البقول البطاطا والبندورة . ويحاول بعض الغوطيين أن يربوا شجر الثوح وما أظنه يجود في اقليمنا ، كما يجود في رومانيا من بلاد حوض البحر الأسود ، ولكل كورة خصائصها الجوية والأرضية تعمل في النبات والحيوان .

أنهارها وريها

تبدلت معالم الغوطة كما قلنا غير مرة كأن الأرض الحصبة تحتاج أبداً إلى من يشيرها ويمجدها ويسمدها ، فإذا كثرت فيها الصروح والقصور والمصانع المتينة تجمد أرضها وتضيع مربيها ، لذلك كانت أرض الغوطة أبداً في تجدد ، ومعها تجدد المرافق والمعالم والأوضاع . وليس في صحيفة هذا الوجود ما يثبت على الدهر ، ولم يتبدل في الغوطة ماؤها ولا هواؤها ولا تربتها . فالغوطة تسقى من سبعة أنهار أو جداول كبيرة مشتقة من نهر بردى ، ولكم أن تقولوا ان الغوطة هبة بردى كما أن مصر هبة النيل . ويردى هذا يشق منه الداراني والمزي والقنوات وبانياس وثورا ونهر يزيد ، وهذا النهر حفره أمير المؤمنين يزيد ابن معاوية فنسب إليه ، وقيل حفره يزيد بن أبي سفيان عم يزيد بن معاوية . وما يدخل مدينة دمشق من هذه الأنهار يحمل فاذوراتها فتكون سماداً يوزع في أرضها كلما أراد الغوطي ارواءها . وهذا من جملة العوامل في خصب الغوطة وامراعها ، يضاف إلى تربتها الغنية وجوها المعتدل . وقد تحفر في بعض الأماكن أربعة أو خمسة امتار ، ولا تصل إلى طبقة الحصباء والحجر ، لكثافة الطمي او المادة الصالحة للزراع .

هذا أهم ما يسقي الغوطة من الأنهار ، ومن أرضها تتبع عدة قنى تسقي مزارعها وأراضيها وما وراءها من أرض المرج مثل عيون فاميريا تتبع من سفح الجبل شمالي دومة وتكون حارة ثم تبرد . وهذه العيون تسقي قرية عذراء في المرج ، وكذلك عيون قلايا في أرض المحمدية تسقي ما انخفض من الأرضين هناك وربما كان اسم قلايا وفاميريا اسم القريتين اللتين يجريان إليهما . ومثل نهري الزابون والملك ينبعان من بردى أو من عين قرية من مجراء ويسقيان بعض أراضي جسرين والمحمدية والافتريس ومثل نهري الشيلاني (الشيداني) والبيلائي (البالائي) يسقيان الحديثة وزبدین وبالا وهما مما ينبع من قرارة بردى ويتجمع من مصاصات المياه المجاورة . ومن القرى ما لا تصل إليه مياه بردى ك بعض أرض داريا وأرض صحنايا والأشرفية وحوش الریحانية وبلاس وسبينة وسبينات وحجرة والبويضة وقبر الست وبرزة فانها كلها تسقى من قنى خاصة بها ، أو من جدول قريب كبرزة تسقى من نهر معربا أول جبل قلمون أو سنير ، أو من عيون هي في حقيقتها رشح من ماء بردى كعين حروش في أرض زبدین . ومياه هذه العيون كماء الأنهار منظمة بنظام دقيق بحيث تأخذ كل أرض حقها وتوزع على أرباب الحقوق توزيعاً عادلاً ، ولم فيها مصطلحات يصعب على غير أهل القرى أن يفهموها بسرعة . وليس في حقول الغوطة ما تعيش زراعاته الصيفية عذياً أي من المطر كزراعات الجبال . وأكثر أهل الغوطة تمتعاً بالمياه أرباب البساتين المحيطة بالعاصمة ، يسقون عندما يريدون من مواصيمهم ، وتكاليفهم من الجباية أقل من تكاليف أهل القرى .

يتبع



نظرة في الكلام المجازي

عندنا وعند الافرنج

مما هو ثابت بالحس والمشاهدة فلا يحتاج الى جدال وبرهان اننا في نهضتنا العلمية الحاضرة ينبغي لنا ان نضيف الى ما عندنا والى ما ورثناه عن سلفنا الصالح كنوز نفائس وفوائد نمتع بها الامم الافرنجية في عصرهم الذهبي الحالي ، ولا غبن عليهم ولا عار علينا ان يعيرونا جانباً واسعاً من ذلك كما أعارهم اجدادنا قناطير مقتطرة خلال عصورهم الذهبية التي لا تقل عن سبعة او ثمانية قرون ابتداؤها بوجه القريب في المئة الثالثة للهجرة . ومن ثم وجب علينا ان نعتى عناية خاصة بفن التعريب الى حسن النقل عن اللغات الاعجمية بحيث لا نضيع شيئاً من معاني الاصل المنقول عنه . ولا نشوه شيئاً من محاسن الفرع اي محاسن اللسان العربي المنقول اليه بل نحفظ له قوالبه المعهودة له ونصون طابعه الاجمالي في كل قطعة وكل بحث ولا ندخل عليه من مفردات ومركبات الاعجم الا قدراً يسيراً يقارب ما عهدناه في لساننا ، اولا نراه بعيداً عنه في القياس فلا يتأذى صميم لغتنا ولا يتنكر وجه ادبنا بهذا القدر اليسير . وهذه شروط لا نجد الا فئة صغيرة من فحول كتابنا وادبائنا يلتفتون اليها ويعملون بمقتضاها . واما سائر حملة الاقلام بيننا فهم في هذه السبيل إما قاصرون ، وإما مقصرون ، وإما مقصرون عنه توانياً وكسلاً حتى دب ديب الخلل والفساد الى الانشاء العربي الناصع من حيث شعر ولا تشعر ، والى ناحية كبيرة من نواحي كرامتنا القومية وواجباتنا الوطنية . وهنا هنا موضع الخزي والخذلان ، والضرر والخطر .

وقد وضعت لهذا المطلب السامي الشأن كتاباً منذ بضع سنوات سميته « كتاب فن التعريب عن اللغة الفرنسية » والاحكام والفروق التي تنطبق على لغة الفرنسيين

عند التعريب عنها ، يتناول أكثرها غيرها من لغات غربي أوروبا كالإيطالية والاسبانية والانكليزية والالمانية والرومانية ، فجميعها اخوات او بنات اعمام متحدرات من اصول لاتينية او يونانية قديمة . واما مقالتي الحاضر فأريد ان التفت فيه لفتة خاصة الى الكلام المجازي عندنا وعند الافرنج ، فان نقل الكلام المجازي الاجنبي الى لساننا عتبة كؤود يجب ان تتضافر الازهان والاقلام على تذليلها وتهدد طريقها ، فاذا وفقنا لذلك وانفقت عليه كلمتنا زالت من اماننا اعظم مصاعب التعريب وعوائقه . والذي ذكرته من هذا القبيل في كتابي « فن التعريب » هو جل ما وصل اليه فحبي واجتهادي وانطبق على ذوقي ، ولعله لا يخلو من فائدة ومعونة ، ولكنه غير كاف لأنه لا يشتمل على حكم جامع مانع . فهذا الحكم الخطير ليس من الحق ان يصدره كاتب واحد ولا من الصواب ان يطالب به كاتب واحد ، وانما يتعاون عليه ويتشارك فيه جماعة من خدام اللغة العربية والادب العربي . وها انا جئت افتح الباب في وجه هؤلاء الاخوان فعسام بعد ذلك ان يدلوا ابناء الامة على غرف الدار ومسالكها ومستشرفاتها ومرافقها .

متى يجوز لنا ان ننقل الى لساننا الكلام المجازي الافرنجي حسب ظاهر لفظه واسلوبه ؟ ومتى يجب علينا ان نضرب صفحا عن لفظه واسلوبه ونقتصر على تأدية معناه حسب قوالب لغتنا ؟

اما الذي اتبينه أنا من هذين الشقين فهو كما يأتي :

ان الكلام المجازي الافرنجي يحسن نقله الى العربية حسب ظاهر لفظه واسلوبه في هذه الحالة :

اذا كانت الصورة المجازية مسموعة شائعة في لساننا نحو : « عقد حديثا *Lier une conversation* » — ضرب العدو معقلا *Battre une place* اي اطلق عليه نيران المدافع . — « راية منصوره *Un drapeau victorieux* » اي

اصحابها منصورون - « عقل ناضج *Un esprit mûr* » اي كامل بالتجارب - « عقل
عبارة *Polir une expression* » اي هذبا - « صارع الشقاء *Lutter*
contre la misère » اي قارمه - « ابناء الظلمات *les enfants des ténèbres*
اي ابناء الضلالة - « ثقل الصولجان *le poids du sceptre* » اي مصاعب الملك -
« ميناء النجاة *le port du salut* » اي المنجى - « عقل مخضب *Un esprit*
fécond » اي عقل متسع قادر .

ويدخل في هذا السلك كل ما كان وارداً على طريق مجاز مشاع ، تشبيهاً كان
او استعارة او كنايةً فهو غير محسوب من خصائص اللسان العربي ولا من خصائص
اللغات الافرنجية كوصف بعض شعراء الافرنج الشعر المسدول بالتقوج وتشبيههم
الغدير الصافي بالمرأة ، ولحاظ الحسان بالاشعة . وكقول احد ادبائهم مشيراً الى
مساويء طور الشباب وقلة خبره : « ليس ما يدعونه ايام الصبي الا وميض برق في
ليل عاصف » وكقوله في وصف معيشة قروي : « و كانت بين امرأته واولاده
كالشجرة الناضرة كللها ثمرها الناضج » وفي كرور الايام المستمر : « الزمان بحر
دائم الجريبات لا ساحل له والمرء فوقه يتخبط علي غير هدى ولا يصيب مرفأ
يرمي فيه » وفي ذكر ام تأمل صغيرها : « كانت تنظر بحنو الى طفلها وما هو الا
وعاء ستملأه حداثات الليالي » وفي شقاء الرعية لرفاهية ملوكها : « لم ينسج ارجوان
الملوك الا من دماء رجالهم » .

ولكني لا استحسن مثلاً ان تقول في التعبير المجازي كما يقول الافرنج « دموع
مرة » عوض « دموع حارة » ولا « احترام عميق » عوض « احترام عظيم » وغابات
نائمة » عوض « غابات هادئة او ساكنة » ولا « جبهة هادئة متكبرة » عوض « عليها
ميمات الهدوء » ولا « مدء اليه يداً مستحجة » عوض « مد اليه يد الحياء . او - مد
اليه يده بجمياء . او . مدء اليه يده مستحياً » ولا « طلب يد فلانة » اي خطبها
الى اهلها » ولا « الزمان الذي يتبخر » اي الزمان المشرف على الزوال .

فهل يمكن وضع حدود ورسوم لهذا المرفوض وذلك المقبول من المجاز الافرنجي . وكيفما افضى بنا البحث والاستقراء فلا شك انه يجب رفض الصورة المجازية الافرنجية اذا كانت من خصائص انشائهم وهي غير معهودة في انشائنا . واذا كانت عندهم دالة على اصطلاح خصوصي او عادة سفي معايشهم او فيها تلميح الى حديث او حادث في تاريخهم . وبكثير ذلك في الامثال والكلمات المأثورة القريبة من مجرى المثل . فلا بد لنا حينئذ من كشف المراد عنها وقد يتفق ان يكون لمؤداها صورة مجازية اخرى عندنا فنذكر المجاز العربي ونترك المجاز الافرنجي وان افضيا الى معنى واحد . فعوض ان نقول مثلاً « ألقى آخر ورقة لعب من يده » او « اطلق آخر خرطوشة من بندقيته » يجدر بنا ان نقول : « رمى بآخر سهم من كنانته » وعوض ان نقول « عمل ملفوفة يضاء » يجب ان نقول : فانه غرضه او خاب مسماه او طاش سهمه او خبا زنده

ومن هذا الشق المرفوض استعمال بعض الأدوات عندهم لمعان وحالات لا تنطبق على ما يراد منها في لغتنا . فللفظة *Comme* ومعناها « مثل » تأتي عندهم بهذا المعنى وبمعنى « بما ان » وقد يستعملونها في مواضع نرى وجوب حذفها منها في العربية نحو قولهم *je le considérais comme innocent* وهذا تعريبها الصحيح : « كنت اعده . او . كنت اعتبره بريئاً » لا « مثل بري » . او نظير بري » حسب النص الفرنسي ، وترد *Comme* في الفرنسية للتعجب نحو *Comme il est beau !* اي « ما اجمله » .

Rien qu'à : يرادفها في العربية « بمجرد » في مثال قولنا : *Rien qu'à le voir, on le soupçonne* اي : بمجرد النظر اليه تقع التهمة عليه *Gela, doit être vrai une fois que vous me le dites* : «une fois que..» اي « بما انك قلت لي ذلك ينبغي ان يكون صحيحاً »

(*c'est*) : لا يجوز أن ننقلها بحرفها الى لقتنا فنقول « هذا » او « هذا هو » فهذه الأداة عندهم يستعملونها لاداء معنى الحصر والتوكيد . فيجب ان تقيم مقامها ما عرفناه من وسائل الحصر والتوكيد مثل استعمال « ما والا » او ما يرادفها في النفي والاستثناء . او استعمال « انما » او تقديم اللفظ المراد حصره . او استعمال شيء من اللفظ المؤكد . فاذا قالوا مثلاً *C'est une bonne intention qui lui a dicté cette démarche* لا يجوز لنا ان ننقلها حرفياً ونقول : « هذه هي نية صالحة املت عليه هذا المسعى » فهذا التركيب في منتهى الركاكزة والخطأ بل يجب ان نقول « ما املى عليه هذا المسعى الا نيته الصالحة » او « انما دعاه الى مسعاه صفاء النية او حسن القصد » او « حسن القصد وحده دفعه الى مسعاه » او نحو ذلك

(*trop*) هذه الاداة عندهم تدل على تجاوز الحد في الأمر فاذا قالوا : « *Il est trop sage pour commettre cette faute* » فمن المضحك ان ننقل اللفظ بنصه الى لساننا ونقول : « انه عاقل كثيراً لارتكاب هذه الغلطة » بل ينبغي ان نقول « انه اعقل من ان يرتكب هذا الخطأ » .

ان الاداتين الفرنسييتين *si* و *autant* يرادفهما في العربية « بهذا المقدار » ولكن في كثير من استعمالها نرى ترجمتها بهذا اللفظ سمجاً ركيكاً . مثال ذلك قولهم : « *Il est si (tant ou autant) vertueux qu'il aime ses ennemis* » فلا ننقلها بحرفها الى العربية ونقل : انه بهذا المقدار فاضل حتى يجب اعداءه » بل قل : « قد بلغ من فضله — او فضيلته — انه يجب اعداءه » او « ان فضيلته تقضي عليه حتى بمحبة اعدائه » او نحو ذلك .

ومن هذا القبيل « *pour* » فلا يرادفها في العربية دائماً لام التعليل او « لكي » او « لاجل » . بل ذلك غالب في استعمالها لا مطرد اذ تقع في بعض استعمالاتها الفرنسية موقع « عوضاً عن » او « عن » بمعنى عوض . او « بدلاً من » . نحو :

« *embrassez pour moi vos enfants* » فلا نقل في تعريبها « قبل لأجلي أولادك » بل قل « قبل عني أولادك » أو — عوضاً عني — أو — بدلاً مني — أو — نب عني بتقيلهم . ثم ان هذه الاداة الفرنسية نفسها *pour* يجب حذفها عند التعريب في بعض استعمالها . مثال ذلك : *je compte ces fatigues pour rien* فيجب تعريبها هكذا : « لا أعد هذه الاعباب شيئاً » أو — شيئاً مذكوراً — أو : شيئاً يستحق الذكر

ولهم أفعال تخالف في بعض مواقعها عندهم ما عرفناه من مواقع مرادفاتنا عندنا . اكتبني هنا على سبيل التمثيل بايراد اربعة منها « *faire. avoir. venir. aller* » « *faire* » هذا الفعل الذي يرادفه بالعربية في اكثر استعماله « فعلٌ او عملٌ اوصنع » قد يرد بالفرنسوية في تعابير لا يليق بنا عند تعريبها استعمال المرادف المذكور مثال ذلك ان يقال في الفرنسية « *il a fait des efforts* » فلا تنقله حرفياً ونقل « عمل مجهودات » بل قل « بذل جهداً » . وان يقال *il a fait ses devoirs* فلا نقل في تعريبه « عمل واجباته » بل « قضى واجباته — او — اداها — او — قام بها — او قام بما عليه . الخ »

ويقولون « *il a fait malade* » ونحن نقول : « اظهر المرض — او ادعاه — او تمارض »

« *avoir* » هو فعل الحصول عند الفرنسيين فاذا ألحق به حرف الجر الى هكذا : « *avoir à* » وبعد حرف الجر فعل آخر وجب ان يحل محله في العربية الفصحى اللام او على ملحقين بالضمير او الاسم الظاهر الذي يريد المتكلم . وربما اقتضى اتساق الانشاء العربي ان يتقدم على ذلك فعل كان او وجب او ترتب نحو « *vous aurez à faire un long trajet* » وتعريبه هكذا : « سيكون عليك — او سترتب عليك او سيجب عليك — قطع مسافة طويلة . ونحو : *Vous* »

« *n'aurez qu'à lui attirer son attention* » وهذا تعريبه : « ليس لك إلا أن توجه انتباهه — أو أن تنبيهه » .

« *aller; venir* » يستعمل فعل المجيء في الفرنسية أحياناً للدلالة على الماضي القريب . وفعل الذهاب للدلالة على المستقبل القريب . فإذا قالوا : يجيء من فعل كذا : « *il vient de faire* » أرادوا أنه فعله منذ هنيهة . وإذا قالوا « يذهب لفعل كذا » *il va faire telle chose* أرادوا أنه سيفعله عما قريب . أو أنه على أهة القيام به . كما اشتهر أنهم يستعملون فعل الذهاب للسؤال عن الاحوال فيقولون : « كيف أنت ذاهب » أي كيف احوالك . ويقولون « كيف ذاهبة الأشغال » أي كيف هي .

وكثيراً ما يستعملون صيغة الحاضر في تصريف الافعال عوض صيغة الماضي عند تخبيرهم بالحوادث لأنهم يرون هذا الاستعمال ادعى الى حسن تصوير الأمر للقارئ وترسيخه في ذهنه . مثال ذلك قولهم : « *L'orateur se lève, attire l'attention et captive les esprits* » أي « ينهض الخطيب فيسترعى انتباه القوم ويختلب عقولهم » يأتون بمثل هذا التعبير والحكاية فيه عن امر واقع . وأما الكاتب العربي فلا يجوز له الا مراعاة زمن الحادث مستعملاً صيغة الماضي بحيث يقول : « نهض الخطيب فاسترعى انتباه القوم واختلب عقولهم » .

ومما يجدر بنا ذكره مناسبة لما نحن فيه ان البلاغة العربية يدخل في ابوابها وطرق انشائها عكس ما ذكرناه هنا من مصطلحات الانشاء الفرنسي . فالبلغ العربي لا يعرف اقامة المضارع مقام الماضي ولكنه يعرف اقامة الماضي مقام المضارع حين يريد الاشارة الى ان وقوعه امر محتوم لا ريب فيه . وشاهد ذلك ما جاء في القرآن الكريم عند ذكر ساعة الدينونة : « وفتحت السماء فكانت ابواباً » والمراد : « وستفتح السماء فتكون ابواباً » . وانما اختار صيغة الماضي لاشعار السامع ان ذلك الحادث المستقبل منتظر لا مجال للشك فيه كما لا يشك في امر وقع واتصل بنا خبر

وقوعه . وهذا الاستعمال عندنا داخل في باب مخالفة مقتضى الظاهر من فن المعاني . وهو نهج معروف في العربية العامة ايضاً . مثال ذلك ان جارك يقول لك « انت ولدي من تلاميذ الصف الاول في مدرسته وعلاماته في الدروس وحسن السلوك من اول السنة الى اليوم احسن من علامات رفاقه كلهم وهو هذه الأيام قد ضاعف انتباهه واجتهاده ومراجعاته استعداداً لامتحان آخر السنة » فتجيبه « اذن ابنك نجح واخذ جائزة الشرف الاولى من مدرسته » وانت تريد ان تقول له « انت ابنك سينجح وسياخذ جائزة الشرف الأولى من مدرسته » . لأنه في ساعة تحادثك انت وجارك لم يكن امتحان آخر السنة قد حان ووزعت جوائزه على مستحقيها . وما يجب علينا الانتباه اليه وحسن تدبره كيفية نقل المجاز الافرنجي في طريق الاساطير الخرافية المأخوذة عن قدماء اليونان والرومان ولا سيما عند ذكر الارباب الوثنيين ورباتهم وانصاف آلهتهم وابطالهم ولكل منها دلالة على اعلى قمة من الصفات المختلفة كالحكمة وقوة البأس والدهاء والدكاء والجمال والفراخ والحقد والانتقام وغير ذلك .

واما الخصائص في بعض المفردات والمركبات فهي عندهم كثيرة جداً يخطئها العد والاحصاء ولكن لا بد لنا من ايراد اليسير منها على سبيل التمثيل ووجوب الانتباه اليها واتخاذ الحيلة لها :

معناه الأصلي : وضع ساعتين . والفصح أن *Il a mis deux heures* يقال : قضى ساعتين . او استغرق ساعتين

معناه الأصلي درس . ويأتي بمعنى بحث . بحث مباحثة . *Etude*

الفرنسي يقول : درس فلان المسألة . والعربي يقول : *Etudier une question* فحصها وتفحصها نظر فيها او امعن فيها نظره او انعم نظره دقق فيها واعمل فيها فكره

معناه حرفياً : دم بارد . ويجب تعريبه بقولنا رباطة *sang froid*

الجأش او ثبات القلب او ثبات الجنان . او حضور الذهن

Il a sauvé les apparences معناه حرفياً : اتقذ الظواهر او خلصها : و ترجمته
دارى ظاهر الأمر او رعى حق الظواهر . او صان

حرمته

Créer خلق . و كثيراً ما يجب تعريبه بفعل اختلق او ابتكر
او ابتدع او انشأ

Il était étroitement compromis ترجمته الفصيحة ، كانت التهمة موجهة اليه كل التوجيه
او اشد التوجيه . أو كانت الشبهة العظمى واقعة عليه

Il décrit avec bonheur يحسن الوصف . يصف بدقة . او مهارة او
لباقة . انه موفق في دقة وصفه كذا

Cette influence explique son indécision الترجمة الحرفية
ذلك التأثير كان سبباً لتردده . نشأ او نجم ترده

عن ذلك التأثير

وهذا القدر اراه الآن كافياً لأجل فتح الباب لغيري والتطلع الى ما وراءه
من زوايا وخبايا

ادوار مرقص

اللاذقية

مخطوطات ومطبوعات

الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب

من جملة مخطوطات المكتبة الأحمدية بجلب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) للعلامة ابن خطيب الناصرية في مجلدين ضخمين الثاني منها مخروم الآخر . كان هذا الكتاب معاراً من مدة طويلة ومنذ نحو ثمان سنين استحصل على الجزء الاول ومنذ شهرين استحصل على الثاني ، ولما وصل هذا الى دائرة الاوقاف ارسلته إليّ لارتيه لأنه قد اختلط بعضه ببعض ولا ارقام على صفحاته ، فرتبته ووضعت له أرقاماً وحصرت نقصه من نصفه الى الآخر فبلغ عشر ورقات ، وقد أحبت ان اكتب كلمة عن هذا السفر النفيس معروفاً به لعل ذلك يؤدي الى اخراجه الى عالم المطبوعات لتعم الفائدة منه .

هذا التاريخ كما قال مؤلفه القاضي علاء الدين علي بن خطيب الناصرية في خطبته هو ذيل على تاريخ الكمال عمر بن أحمد ابن العديم المسمى (بغية الطلب في تاريخ حلب) الذي تكلمت عليه وعلى الاجزاء الموجودة منه في مكاتب العالم وعلى ترجمة صاحبه في مجلة الجامعة الاسلامية الحلبية في تسعة اعداد وذلك من عهد قريب .

وتاريخ الكمال ابن العديم ينتهي الى سنة ٦٥٨ الى السنة التي استولى فيها هولاكو على حلب وخربها ، فجاء ابن الخطيب فذيله من سنة ٦٥٨ الى سنة وفاته التي كانت سنة ٨٤٣ قال :

أحببت أن اذيل عليه ذيلاً مختصراً وقبل الخوض في ذكر الاسماء اصدده بفصول:
الفصل الأول في حلب وأسمائها ومن بناها والقبائبا
= الثاني في ذكر حدودها وأعمالها

الفصل الثالث في عظم فضلها وخصائصها

الرابع في فتحها

الخامس في نهرها وقتاتها ومساجدها ومعابدها

وقد ذكر ذلك صاحب كمال الدين عمر بن العديم في ذيله مستوفى ، الا ان تاريخه تفرق شذر مذر ولا يوجد الا القليل منه ، وكنت وقفت على بعض اجزاء منه من المبيضة قبل الفتنة التيمرية ثم اذكر منها او من بلادها ومن اجتاز بها من الرواة والعلماء والفضلاء والرؤساء ، ومن كان بها من الصالحين والعباد ومن نزها او اجتاز بها او بمعاملاتها من أهل الشعر والانشاء ومن دخلها او ملكها من السلاطين او وليها من الامراء والنواب والقضاة ومن وفد اليها والى معاملاتها من فضلاء غيرها من البلاد ، ومن كان له بها مباشرة من الأعيان أو وقعة اشتهرت عنه فعدته من الفرسان ممن كانت وفاته من سنة ثمان وخمسين وستائة ، وهي السنة التي اخذ بها هولاء كوكب وخرها ، ثم انشئت عمارتها من ذلك الحين وهلم جرا الى زماني ، ورتبتهم على حروف المعجم في الاسم واسم الأب والجد وان علامها أمكن وكذلك في حروف الاسم واسم الأب وان علا يكون اسم للكشف ، ولم ادع الاستيعاب بل ما وقفت عليه او علمت او غلب على ظني انه دخل حلب او معاملتها او كان من اهلها او ولد بها ، وكذلك النوازل والنوادر اذكرها في ترجمة من توفي في السنة التي اتفقت فيها .

والمؤلف قد وفى ما التزم به كما تبين لي ذلك من تتبعه ، فعلى هذا لا يكون هذا التاريخ خاصاً بحلب بل هو تاريخ عام للبلاد السورية والمصرية والعراقية والحجازية والمغربية والرومية ، فيجد فيه من تراجم اعيان هذه البلاد كلها من توفي سنة ٦٥٨ الى سنة ٨٤٣ التي هي سنة وفاته ما لا تحده في غيره ، وترى فيه تراجم السلاطين والامراء الذين تولوا البلاد المصرية والسورية بصورة مبسطة بحيث يصلح ان يجمع منها كتاب واسع في اخبار هؤلاء في هذه المدة وتنقلاتهم في هذه

البلاد من امارة صغيرة في مصر إلى نيابة حماة فحمص فطرابلس فحلب فدمشق إلى امارة كبيرة في مصر ، فهو على هذا تاريخ لهذه البلاد كلها ، وهو مشحون بآثارهم في هذه البلاد ، وبالمقارنة مع التاريخين الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ ابن حجر المطبوع في الهند والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للحافظ السخاوي المطبوع في مصر تبين لي أن الكثير من التراجم جاءت فيها وجيزة وهنا مطولة ، كما أنه في بعض الاحيان نرى بعض التراجم مطولة في ذنبك التاريخين ، وهي عند ابن الخطيب مختصرة فلا يستغنى اذا بهذين التاريخين عن هذا . وقد تكلمت على هذا التاريخ في مقدمة تاريخي (اعلام النبلاء) (ص ٢١) ، ومما فاته نقلاً عن الرضي الحنبلي مؤلف در الحجب في تاريخ حلب انه لما وصل الى حلب حافظ العصر الشهاب ابن حجر العسقلاني المصري سنة ست وثلاثين وثمانمائة طالع هذا التاريخ من المبيضة ثم من المسودة والحق فيه أشياء كثيرة كما تعرض لهذا في ديباجة تاريخه المشهور بانباء الفمر بانباء العمر واثني على صاحبه وأفاد أن كلاماً معنا سمع من صاحبه .

ماوقفت عليه من نسخ هذا التاريخ

(١) نسخة حلب في المكتبة الأحمدية

(٢) = في برلين رقها ٩٧٩١

(٣) = في مدينة غوطا ٩٧٩٢

(٤) = في لوندرة ٤٣٦

(٥) الجزء الثالث منه في مكتبة الأمة بباريس رقها ٢١٣٩ هذا الجزء من

نسخة في أربعة أجزاء ابتدء فيه بترجمة عبد الكريم بن أحمد المصري واختتم بترجمة محمد بن تمام الحميدي وهو في ١٥٠ ورقة .

(٦) نسخة في مكتبة لالهلي في استانبول في مجلدين رقها ٢٠٣٦ و٢٠٣٧

(٧) نسخة في مكتبة خالص بك مستشار الخاصة في الآستانة وهي مكتبة
خصوصية .

هذا ما وقفت عليه من نسخ هذا التاريخ في مكاتب العالم .
ومنذ سنتين زار حلب المستشرق الفاضل رايخ فاخبر أن العلامة المستشرق
بروكلن الالماني مؤلف آداب اللغة العربية وقف على ٢٢ نسخة من هذا التاريخ .
واستبعد ان تكون هذه الثنتان والعشرون نسخة هي الدر المنتخب لابن خطيب
الناصرية ، وبغلب على ظني أن بعض هذه النسخ هي الدر المنتخب الصغير المنسوب
لابن الشحنة وهو على التحقيق للشيخ محمد بن أحمد الشهير بالملأ الحلبي وقد تخلله
زيادات من الشيخ إلى اليمن البتروني . وهذا طبع في المطبعة اليسوعية في بيروت
سنة ١٩٠٩ ، والفرق بينهما أن ذاك في مجلدين ضخمين وبعض النسخ في أربعة أجزاء ،
وهذا في جزء صغير تكلم فيه على حلب خاصة في ٢٥ باباً .

ونحن ندع تحقيق هذه الناحية إلى العلامة بروكلن الموما إليه .
والجزءان الموجودان في مكتبة الأحمدية الأولى منها تام وهو ٦٧١ صفحة بخط
مقروء ، لكن فيه تحريف كثير ، وذلك يفيد أن الناسخ من العوام وكل صفحة
٢٥ سطرأ ولا تاريخ في آخره .

والثاني أحسن خطاً وضبطاً ؛ لكن فيه النقص الذي قدمناه وبعض أسطر من
بعض الصفحات ممحوة وهو في ٤٦٠ صفحة كل صفحة ٢٩ سطرأ ولا تاريخ في آخره
بل سقط من آخره ثلاث أو أربع أوراق ، وذلك عدا عما سقط منه قبل ذلك بما
يكمل عشر أوراق ، وهو أقدم خطاً من ذلك وحاله يدل انه قد كتب في القرن
العاشر الهجري :

محمد راغب الطباخ

شرح الشعمقية

للسيد عبد الله كنون الحسني (صفحة ١٢١)

مطبعة مصطفى محمد بمصر

والشعمقية هذه اسم ارجوزة قافية لابي العباس احمد بن محمد بن الوزان الحميري ، وعدة اياتها ٢٧٥ بيتاً في النسيب والحماسة ، والحسود والحكم والامثال ومدح الشعر والسلطان ، وقد اعجب بهذه الارجوزة ادباء المغرب كثيراً فعارضها ابو عمرو الرباطي من ادباء القرن الثالث عشر ، وشرحها كثيرون منهم ابو عبد الله الجريسي وصاحب الاستقصاء ، وهذا الشرح المطبوع بمصر ، وكانت هذه الارجوزة قد طبعت على الحجر ضمن مجموعة من المتون العلمية في مدينة فاس ١٣١٥ هـ .

والشعمقية نسبة الى ابي الشعمق الاصغر الذي لقب به ناظم هذه الارجوزة ، اما الاكبر فهو ذلك الشاعر الكوفي الماجن الذي نقرأ اخباره الطريفة في الاغانى والكمال والعقد الفريد ، وكان ناظم الشعمقية نديماً لسلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله فكناه بابي الشعمق لظرفه وملحه . ومطلع هذه الارجوزة :

مهلاً على رسلك حادي الالبق ولا تكلفها بما لم تطق
ويقول في خاتمتها :

اليكها ارجوزة حسانة	لمثلها ذو ادب لم يسبق
ما لجويز وجميل مثلها	في غزل وفي نسيب مونق
فلو رآها الاصمعي خطها	كي يستفيد بسواد الحدق

وقد سما الناظم في بعض ايات ارجوزته الى درجة المطبوعين ، وأسف أحياناً الى دركة المتكلمين ، واكثر فيها من الغريب في وصف اليد والقفار والحيوان والاطيار والأشجار ، كما اكثر من اسماء الاعلام والوقائع التاريخية محتذياً في ارجوزته حذو ابن دريد في مقصورته ، وقد اوضح الشارح لغة الارجوزة واخبارها ايضاحاً كافياً صحيحاً ، ولولا ما فيها من اغلاط الطبع والسهو لكملت فائدتها ، والضبط في مطابع الشرق ما زال معوزاً .

التنقيح

الادباء العشر

للاستاذين اسعد طلس وابراهيم الكيلاني

من منشورات المكتبة السوية بدمشق ، صفحاته ٢٩٦

يسأل طالب الشهادة التجهيزية (البكالورية) في خاتمة كل سنة مدرسية عن عشرة ادباء تختارهم لدراسته وزارة المعارف ؛ وهؤلاء العشرة عرضة للتبديل من سنة الى اخرى ، وقد اعتمد مدرسو الأدب في التجهيزات ، ان يساعدوا طلابهم بتأليف رسائل عن كل من هؤلاء العشرة ، كما فعل الاستاذان السيد خليل مردم بك والسيد سليم الجندي من اعضاء المجمع العلمي ، فقد وضع الأول رسائله (اثمة الادب) في الفرزدق والجاحظ وابن المقفع وابن العميد وابن عباد ، وانشأ الثاني رسائله في امرئ القيس وابن المقفع والامام علي .

وغير هذين المؤلفين قد نحا منحنى آخر بتأليف كتاب يجمع الادباء العشرة كما فعل الاستاذ ممدوح حقي في كتابه (ادباء البكلوريا) والاستاذ خلدون الكنافي والاستاذ حنا نمر في كتابهما والاستاذان اسعد طلس وابراهيم الكيلاني في (الادباء العشر) الذي كتبنا عنه هذه الكلمة ؛ غير ان مثل هذا المنحنى لا يتسع لانتماء البحث عن العشرة ، ويضطر معه المؤلف الى جمع المتفرق او الاليجاز المحل احياناً ، فيجيب كتابه بعيداً عن البحث الذاتي المستقل ، مما لا يكشف حقيقة او ينير غامضاً ، ولا يهتدي به الطالب الى مواقع الحسن او القبح من التعبير ، والى مواطن الصحة او الخطأ من التفكير ، فلا يتبين لذلك حقيقة الشاعر او الناثر لتلك الأحكام التي نطبق على كثير من الادباء ولا تربيه منه الا صورة مبهمه مربعة الانطاس والدثور ، لا حياة فيها ولا نور .

وقد حاول المؤلفان لكتاب (الادباء العشر) ان يفيدا في هذه السنة طلاب الشهادة التجهيزية ، وان ينجحنا في زمن قصير عن العشرة الادباء ، فكأننا يكتبان الابحاث ليللاً ، ويقدمانها للطبعة نهائياً لنتمكن من انجاز كتابها قبل انتهاء السنة

المدرسية ، فوقع فيه لهذه المجلة الاضطرابية اغلاط في النصوص وفي العروض والرسم ، وبعض آراء لم ينضجها البحث المحتاج الى اطالة النظر ، وكثرة التوقف ومراجعة المظان وتمحيصها .

وقد اغفل المؤلفان بهذه المجلة ان يحللا لكل اديب قطعة من شعره او نثره ليقع الطالب على مواطن الحسن او القبح كما ذكرناه آنفاً ، وليتدرب على طريقة التحليل العلمي ، ولعلهما قد تركا هذا العمل الخطير للأستاذ المدرس ، وما كل مدرس بقادر على ان يوفي ذلك حقه .

ومن المجلة احتياج المؤلفين لصحة اسم الكتاب (الادباء العشر) لا العشرة ، بقولها في آخر صفحة منه ما نصه : (ولا بد لنا في الختام من ارشاد الذين انتقدوا عنوان كتابنا الى مراجعة بحث العدد في حاشية ابن عقيل على شرح ألفية ابن مالك ، وكتاب أوضح المسالك للشيخ المراغي فان فيهما نصاً عزيز النقل فليحفظوه !) مع ان ابن عقيل لا حاشية له ، فهو شارح الالفية ، والمحشي هو الخصري ، وكتاب أوضح المسالك أو التوضيح هو لابن هشام ، والمراغي قد نشره نشرة جديدة باسم تهذيب التوضيح ، هذا وان ما نقله الامام النووي في حاشية الخصري عن شرح الكافية للسيد الصفوي في تجويز تذكير العدد وتأنينه بعد المعداد موضع نظر ، لان الناقل والمنقول عنه ليسا من أئمة النحو ، وما ورد من الكلام الذي يصح الاستشهاد به لا يقبل مثل هذا التجويز .

أما تراجم الكتاب لادبائه العشرة فكافية للطالب ، ومختلفة من عناء بحثه عن اخبارهم واخلاقيهم مما يعينه على فهم آثارهم الادبية ، وفي خاتمة كل بحث بيان مفيد للمصادر التي تعين الدارس على التبع والاستقصاء ، فعسى ان يتلافى المؤلفان هذه النواقص في الطبعة الثانية .

الشنوخي

باكورة في تعاليم ابن تيمية الاجتماعية والسياسية

تأليف السيد هنري لاوست

H. Laoust: Essai sur les doctrines sociales et politiques
de Taki - d - din Ahmad B. Taimya,
Le Caire. 1939

نقد مؤلف هذا الكتاب الى روح شيخ الاسلام ابن تيمية ، وغاص كما يفوص العالم الذي لا مأرب له غير خدمة الحقائق في كتب هذا الامام ، وهي كثيرة جداً واكثرها مما لم تستطع عليه غير الدهور ، فاستخرج لآتي بدبعة في منازع ابن تيمية في الاجتماع والسياسة تمثلها وكتبها بأسلوب عال باللغة الفرنسية ، ومعلوم أن تقي الدين كان يجمع الى العلم ، الدين السياسي ، ويعرف زمنه كما يقال في وصف العارفين ، يعرفه معرفة اعظم رجال الدولة ، فدرس آرائه ومذهبه في الحقيقة درس لما حوت الشريعة الاسلامية في أحمل صورها واصدق مصادرها .

ان الكلام على ما خاض المؤلف عبابه يحتاج إلى بحث طويل ، ومن امتع ما قرأنا فيه تلمطه في التعليق على آراء شيخ الاسلام تعليقاً معاً خالف رأي المؤلف ، فهو لا يخرج عن حدود أرق المؤلفين في تأليفهم .

ولو كتب لكل من يكتب اطروحته أن يمن في درسها كما امن الاستاذ لاوست في بحث ابن تيمية خلفوا لنا مجموعة من الابحاث يعتمد عليها في الموضوعات التي عالجوها ، ولكن غاية معظم من كتبوا اطروحاتهم من ابنائنا كانوا يقصدون بها خدمة انفسهم بنيل شهادة العالمية لا خدمة العلم كما وقع لصديقنا لاوست ، وانا لنشكر المؤلف على هذه التحفة الثمينة ونرجو ان يطرد صدور تأليفه على هذا المنهج خدمة لعلم لا تكاد تعرف اكثر حقائقه في بلاد الغرب وينشره بهذا الاسلوب الممتع قطع لآلسن من يهرفون عن الاسلام بما لا يعرفون ، ولا غضاضة عليهم في ذلك وما القصور

الا منا نحن ورثة هذا التراث العظيم ، وبإهمالنا وتركنا المجال خالياً لمن يقولون فينا
وفي تعاليمنا ما يقولون ، وقد نعتز على من يتوفر على الدرس فيخرج ما يهديه إليه
بحسب للناس ، وليس لنا من برهان الا ما يعرض لخاطرنا باديء بدء من رأي فطير
غير نضيج .

محمد كرد علي



مرکز تحقیقات کتابت ویراسته‌ها